١٨٣٤/٤/٣٦٦٧٨ جزائر

تصدر فى ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

البعث الاسلامى

المجلد العاشر

العدد الرابع

شعبان

سنة ١٣٨٥هـ

ديسمبر

سنة ١٩٦٥م

كل ما حولنا جاهلية

نحن اليوم فى جاهلية كالجاهلية التى عاصرها الاسلام أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية . . تصورات الناس و عقائدهم ، عاداتهم و تقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم و آدابهم، شرائعهم و قوانينهم ، حتى الكثير مما تحسبه ثقافة إسلامية ، و مراجع إسلامية ، و فلسفة إسلامية ، و تفكيراً إسلامياً . . هو كذلك من صنع هذه الجاهلية ! لذلك لا تستقيم قيم الاسلام فى نفوسنا ، و لا يتضح تصور الاسلام فى عقولنا ، و لا ينشأ فينا جيل محكم من ذلك الطراز الذى أنشأه الاسلام أول مرة .

سيد قطب

22948

ALBAAS-EL-ISLAMI

Regd. No. L. 1692

Nadwatululama, LUCKNOW. (INDIA)

الطريق الى المدينة

سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى

- الطريق إلى المدينة ، طريق سار عليه الهائمون ، و المحبون ، وسعى إليه المسلمون لاعلى أرجلهم و أقدامهم ، بل على رؤسهم و عيونهم و أرواحهم و قلوبهم .
- إنها مدينة الأشواق و الحب ، مدينة العاطفة والقلب ، مدنية التقت فيها الأرض بالسماء ، و جرى منها أكبر ينبوع من الرحمة الالهية و النفحة القدسية ، و الهداية النبوية .
- إنه الطريق الوحيد ، المفتوح أمام العرب ، أمام المسلمين و أمام الانسانية، وكل ما عداه من الطرق فهو مسدود ، باطل ، لا يؤدى إلا إلى فوضى لا نهاية لها ، و ثورات لا آخر لهـا ، و جحيم لا نعيم بعدها.
- « الطريق إلى المدينة » كتاب يكشف هذه الناحية المهمة التى لم تنل من عناية المثقفين و الزعماء السياسيين القوميين ، الذين يريدون العزة لبلادهم و أمتهم ، مثل ما نالت المناهج السياسية والشعارات الجاهلية ، فتضاءل فيهم ذلك الحب الدافق المطلوب ، و خلا قلبهم من ذلك المحبوب الذى خصه الله بأعظم معانى الحسن والاحسان وأكبر مظهر من مظاهر الجمال و الكمال .

إنه كتاب كل شاب مسلم يريد لأمته النهضة و السيادة، ويبحث عن أسباب القوة و الحرية .

صدر حديثاً

الناشر : المكتبة العلمية للنمنكانى المدينة المنورة

Printed by S. M. HASANI at Nadwatululama Press LUCKNOW

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئيس التحرير محمد الحسني

مدير التحرير سعيد الأعظمي

تصدر في

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

عنوان المراسلات

البعث الاسلامي دار العلوم ندوة العلماء

لكهنؤ ٧ ، (الهند)

الاشتراكات

في الهند و باكستان

١٠ روبيات ثمن العدد روبية واحدة.

في العالم العربي و الخارج

(بالبريد العادي) جنيه واحد استرليني أو ما يعادله

(بالبريد الجوي) جنيهان و نصف

الاشتراكات ترسل عن طريق البنك

أو بواسطة وكلائنا في العالم.

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى العنوان التالي:

مجلة « فاران » كيمبل استريت كراچي ١ (باكستان)

وكلاؤنا في العالم العربي

السعودية — محمد مدثر حسين

الجامعة الاسلامية المدينة المنورة

السودان — الأستاذ محمد الأمين دعاك

ص ب ١١٥ كسلا سودان

الأردن — مسعود علي مسعود مركز « الاخوان المسلمون » ص ب ٣٠١ عمان

لبنان — الأستاذ زهير الشاويش

ص ب ٣٧٧١ بيروت

مجلة البعث الإسلامي

شهرية إسلامية أدبية

ستها عشرة أعداد

★

شعارنا

الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع

وبين الإيمان الراسخ والعلم الواسع

المجلد العاشر — شعبان — ١٣٨٥ هـ

العدد الرابع — ديسمبر — ١٩٦٥ م

مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

★

موجز الفهرست

— التوجيه الاسلامي

— الدعوة الاسلامية

— اقتصادنا في ضوء الاسلام

— في رحاب العارفين

— في رياض الأدب و الشعر

— العالم الاسلامي

محتويات العدد

أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين	محمد الحسنى	٣
التوجيه الاسلامى		
صفوة الآثار و المفاهيم من تفسير القرآن	فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى	١٣
شريعة تتسق الحياة مع الناموس الالهى	الاستاذ سيد قطب	٢٠
مسؤلية القادة والحكام فى الدولة الاسلامية	الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى	٢٥
الدعوة الاسلامية		
أصنام كأصنام الجاهلية	فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى	٣٤
الالحاد ، عوامله وأسبابه	الأستاذ محمد اسحاق الندوى	٤٣
الحركة السنوسية، رمز وأمل و كفاح	الأستاذ حبيب ريحان الندوى	٤٩
اقتصادنا فى ضوء الاسلام		
أهمية الاقتصاد فى ضوء السنة	فضيلة الشيخ مناظر أحسن الكيلانى	٥٥
توزيع الثروة فى النظام الاقتصادى	الأستاذ ياقوت العثمانى	٦٢
فى رحاب العارفين		
ساعة مع الشيخ الربانى رشيد احمد الكنكوهى	سعيد الأعظمى الندوى	٧٠
فى رياض الشعر و الأدب		
اتجاهان أدبيان	الأستاذ محمد الرابع الندوى	٧٨
رسالة فى ليلة التنفيذ (شعر)	الأستاذ هاشم الرفاعى	٨٢
العالم الاسلامى		
القصة الكاملة «للبطولة الناصرية» ضد الاخوان	. . .	٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين

وصف واحد ، و لكنه وصف معجز ، و وصف دقيق .

لقد وصف القرآن هؤلاء المؤمنين الأبطال الذين آمنوا به عن صدق و إخلاص ، و تمسكوا به و عضوا عليه بالنواجذ فى السراء و الضراء وحين البأس، فقال «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم »

هذه الآية هى « مقياس » الاسلام للكرامة و الشرف و العصامية و الرجولة ، و الشهامة و الشجاعة الخلقية ، و مقياسه للايمان الراسخ العميق ، و التفانى فى الدعوة ، و الثقة بوعد الله .

و هى - فى نفس الوقت و بطبيعة المنطق - المقياس الاسلامى للانحراف عن الجادة ، و التنكر للدين و الضلال المبين ، و الميوعة و الجبن و شقاء الجد ، و الرذالة و الاسفاف و التدهور الخلقى .

فكيف نستعمل هذا المقياس بين صالح و طالح ؟

الجواب واضح ، إننا نقلب الآية ثم نبحث عن الصورة التى تمثل هذه الأوصاف. فاذا وجدناها رأيناها أنها نهاية الاسفاف و الدناءة و الهبوط، مقابل ذلك الارتفاع الانسانى والسمو البشرى، فالذى لايذل على المؤمنين لا يعز - طبعاً - على الكافرين ، والذين يعز على الكافرين يخفض جناحه - طبعاً - للمؤمنين .

وصف واحد، ولكنه وصف معجز دقيق، مقياس واحد ، ولكنه مقياس عادل لا يخاف عليه من التطفيف . .

إنه مقياس للمسلمين دون غيرهم ، فيجب علينا أن نرى أن لايكون بيننا أناس من المشوهين لصورة الاسلام ، النا كبين عن طريق الحق ، المتحرفين عن الجادة ، أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل المطامع و الأهواء ، و يخافون فى سبيل الله لومة كل لائم .

إنها صورة كتلك الصور التى يحتفظ بها البوليس السرى ، وتعلق أحياناً فى دوائر البوليس ، و فى المحطات و مراكز الاستعلامات ، وتنشر بعض الأحيان فى الصحف السيارة ليتيسر بها معرفة الجناة ، فلنحذر أن تشبه وجوهنا بوجوه هؤلاء المجرمين ، فنؤخذ بها على غرة ، و نعاقب بها أشد العقاب .

و لكن هناك — مع الأسف — رجالا أو أشباه الرجال نسوا حظاً مما ذكروا به ، فلا تزال تطلع منهم على « موقف واحد » موالاة أعداء الدين ، و معاداة إخوانهم المسلمين .

فلننظر ماذا قدموا بين أيديهم من تاريخهم السياسى فى هذا العقد من السنين ،

أولا أعزة على المؤمنين .

السمة الأولى لهؤلاء « الابطال و الثوار » أنهم صعروا خدهم و شمخوا أنفهم فى وجه المسلمين دائماً ، أنهم حاربوا تركيا و حاربوا الأردن ، و حاربوا السعودية ، و حاربوا العراق و اليمن ، و حاربوا سوريا ، وحاربوا « الاخوان المسلمين » فى كل مناسبة ومن غير مناسبة،

إنهم شتموا تركيا ونالوا منها كل منال ، و اعتبروها عدوة للعرب (و كان ذلك أول إنتاج للقومية العربية و أول ثمرة من ثمارها) و حاربوا الأردن و لم يدخروا وسعاً فى اذلالها و إحداث الثورة والقلق فى داخل بلادها ، و تنبؤا بالثورات و حددوا لها الأوقات ، و رأوا أنها لاتلبث طويلا ، و لا تصمد أمام « الزحف المقدس » و أمام الكلمات النارية فى صوت العرب و العناوين البارزة فى الصحف ، فتقدموا فى هذا المضمار تقدما لا عودة منها، و أفرغوا كل ما فى جوفهم من كراهية و مقت و عداوة و بغضاء لهذه الدولة المسلمة الشقيقة ، و لكنها صمدت فى وجه هذا الطوفان ، و لم تبال بهذا العواء أو الهراء ، ثم حاربوا السعودية ، و رموها بتدبير مؤامرة ضد الجمهورية العربية، ونشروا الوثائق المزورة ، و شنوا عليها غارة كالغارة الصليبية ، و قذفوا الملك سعود بكل نوع من عيب و أذى و خزى و عار، و أوهموا الناس أن السعودية تعيش على فوهة بركان ، و ستخلع ربقة المملوكة بين حين و آن ، و لم يفيقوا من هذا « الحلم » إلا بعد أن ذهب قائدهم إلى الملك فيصل يستجدى موافقته و يستعطفه فى أمر اليمن .

لقد بلغ بهم الطمع فى أموال المسلمين و فى أرواح المسلمين أنهم هددوا السعودية بالهجوم السافر فى منطقتها ، و لولاحال دونها حائل لما استحيوا من إراقة الدماء ، و ازهاق الأرواح ، و الزحف على الاشلاء .

و حاربوا العراق ، و كادت تقع بينهما معركة دموية حامية ، و وجهوا ضد « آثم العراق » و « قاسم العراق » كل نوع من السبائب و الشتائم إلى أن اغتيل فى يوم من الأيام .

و حاربوا سوريا بعد الانفصال و رموها بالانحراف و الضلال، و لا تزال بينهما مشاجرات و مساجلات و مهاترات ، تعكر الجو ، أما فى اليمن و فى أمر الاخوان ، فقد تجاوز السيل الزبى ، وطم الوادى على القرى ، و حدث ما تشمئز منه النفوس ، و تقشعر منه الجلود ، و ينتكس له الرأس خجلا و حياءاً .

إن هولاء « الأبطال الجبناء » قدموا أروع رواياتهم وأبدوا كل شجاعتهم و بسالتهم على مسرح اليمن أو على مسرح الزنزانات والمعتقلات .

إنهم انقضوا أولا على الاخوان و كان ذلك أول خطوة خطتها الثورة المباركة فصبوا المشانق و أنشأوا المعتقلات الخاصة ، و اخترعوا الأساليب الجديدة للتعذيب الجسدى و النفسى ، و ارتكبوا كل قسوة و همجية ممكنة يتصورها الانسان ، و لكن لم يهدأ لهم بال و لم يقر لهم قرار ، و لم تثلج صدورهم و لم تشف غيظهم عند هذا الحد ، حتى جاؤا بهذه المؤامرة المصطنعة الأخيرة (١) و ذلك لمآرب و حاجات فى النفس ، و أهواء و مطامع ، ومصالح حقيرة سيأتى ذكرها فى محلها .

و أراقوا دم مائتى ألف يمنى من غير حق ، فضلا عن ضحاياهم و نكباتهم وخسائرهم الفادحة فى الجيش ، فكان أول مأثرة للثورة فى الداخل « القضاء على الاخوان » و أول مأثرة لها فى الخارج « الفساد فى الأرض و إراقة دماء الابرياء فى اليمن »

إن حرب اليمن أزاحت الستار عن وجه هذه الثورة للمرة الأخيرة حتى لا يرتاب فيها المؤمنون ، وصدقها «تاريخها الناصع المشرق» الذى

١ - إقرأ الحلقة الأولى من قصتها فى هذا العدد فى ركن « العالم الاسلامى »

لم يتلطخ بدم يهودى ، و محاربة معسكر جاهلى ، و لم يدنس عرضه بمعاضدة المسلمين ، و الوقوف بجانبهم ، على أساس الحق و العدل و الأخوة الاسلامية ، و الصلة الروحية .

إنه أكبر « شقاء » و أسفل درجة من الانحطاط الخلقى و موت الضمير ، و زوال الحياء لم تصل إليها أى دولة فى العالم الاسلامى ، فاذا عدوها شرفا و مكرمة و اعتبروها بطولة و دهاء ، و دبلوماسية فسلام على هذه البطولة الكاذبة وسلام على هذه الدبلوماسية الفاجرة .

ثانياً : أذلة على الكافرين !

إن هذا الجزء الثانى يتبع الجزء الأول فالذى يشمخ أنفه لأخيه ، يخضع رأسه لعدوه ، و هكذا كان مع هولاء « الأشراف الأحرار » فقد اتخذوا بطانتهم من أمثال تيتو ، و مكاريوس و هيلاسلاسى وانكروما ، وكلهم معروفون بعدائهم السافر للاسلام والمسلمين ، والمارشال تيتو هو الشخص الذى قضى على خصائص الجيل الاسلامى فى يوغسلافيا ، وطمس معالمها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، و حاول أن يقلع جذورها، و يقطع شأمتها للابد ، و هكذا هيلاسلاسى و مكاريوس فهما فى الصف الأول و مقدمة الطغاة و المجرمين ، و أعداء الدين و المسلمين .

إنهم تجنبوا مجابهة اسرائيل حتى فى وقت عدوانها على مصر ، و انسحبت قواتهم من سيناء ، و هجرت المسلمين المدنيين فى هذه المنطقة تحت رحمة اليهود ، يتجرعون أنواعا من العذاب و الاهانات ، ويعيشون تحت وابل الرصاصات ، إنهم فتحوا خليج العقبة لاسرائيل تمرها سفنها بكل حرية و سلام .

وحاولوا - بكل حرص وحذر - أن لا تقع بينهم وبين إسرائيل أى نوع من الاشتباكات التى تقع أحياناً بين سوريا و إسرائيل ، و بين الأردن و إسرائيل ، و شأن الاشتباكات التى تقع بين دولتين مجاورتين على الحدود حين توتر العلاقات ، إنهم لم يحبوا أن يمس إسرائيل قرح أو ينالها أذى ، و يدنس « تاريخهم الناصع البياض » بمواجهة إسرائيل و « عار» القتال مع اليهود ، و مهما قالوا و أولوا هذه الظاهرة بمختلف التأويلات الفارغة ، و التعديلات الباردة إلا أنها حقائق مرة أليمة ، لا تستطيع أجهزة الدعاية أن تخفيها و تثير عليها الغبار أو تحول عنها الأنظار .

إنهم وقفوا - على عادتهم وانسياقا مع أهوائهم و فقر فى حياتهم - مع مكاريوس فى مشكلة قبرص الواضحة الجلية فى ضوء النهار ونسوا كل ما يحيط بهم من مسؤليات وواجبات إنسانية ، - ولا أقول إسلامية لأنهم لا يعيرون هذه الكلمة كبير اهتمام - تجاه هذه المشكلة الانسانية ، مشكلة حق و مشكلة حياة ، و مشكلة مصير .

إنهم صادقوا هيلاسلاسى و هم يرون ما لاقى المسلمون فى الحبشة من اضطهاد و تعذيب ، و اجلاء و إقصاء و ابادة اجتماعية ، واهانات مستمرة متوالية، ورغم استيلائه على جزء كبير من اريتريا غصباً وعنوة مقابل الصومال ، ذلك البلد المسلم الذى يحتاج إلى مساعدة العالم لاعادة أرضه ، و تحرير المسلمين المعذبين من نير الظالمين المستعبدين .

إنهم يسبون إخوانهم فيصل و حسين ، و يطوفون «بالباب العالى» فى موسكو أو « العتبة العالية » فى بلغراد أو البلاط الملكى فى أديس بابا،

و دار الضيافة فى أكره .

هذه السمة ، هى السمة البارزة ، السمة الأصيلة ، و هى أساس العلاقات السياسية الداخلية ، و الخارجية كلها عند القوم ، لا يستحيون منها و لا يتندمون عليها ، و لو كان ذلك على حساب تدمير شعب مسلم بأسره ، و فناء دولة إسلامية بأسرها ، و انقضاء جيل إسلامى برمته .

ثالثاً : يجاهدون فى سبيل المطامع و الأهواء !

هذه السمة أو هذا الطابع هو الوجهة الثالثة لهذه الصورة الواحدة التى قدمناها .

فالحقائق و الأرقام تصدق بأنهم جاهدوا دائماً فى غير عدو ، و جاهدوا لأخس حاجات النفس ، جاهدوا للمال ، و جاهدوا للدعاية ، و جاهدوا فى كل سبيل غير سبيل الاسلام بالاختصار .

فهذا القتال الضائع فى اليمن و هذا الجهاد الرائع ضد الاخوان المسلمين ، وهذا الحرص الشديد للفوز بقيادة أفريقيا فى جانب، والهروب عن مواجهة الدخلاء المستعمرين فى عدن ، و الفرار من معاكسة إسرائيل فى جانب آخر ، كل ذلك لا يدل إلا على مطامع رخيصة سطحية شخصية يبرأ عنها كل مسلم نبيل له كرامة و ضمير ، فضلا عن قادة البلاد ، و أبطال الثورة ، ويترفع عنها كل من يريد لشعبه القوة والعزة والاستقلال.

إنهم حاولوا أن يغسلوا عار انفصال سوريا بالسيطرة على اليمن و التحكم فى رقابه ، و جاهدوا فى هذا السبيل بكل ما يملكون من قوى عسكرية ودهاء سياسى ودعاية هائلة ، واستباحوا الدماء واحلوا الأموال و الأرواح و بقى أربعون جندى مصرى مسلح يقتل الآمنين الأبرياء من

قبائل اليمن من غير رحمة ولا هوادة، حتى بلغ عدد القتلى إلى مأيتى الف نسمة . فهل كان هذا الجهاد فى سبيل الله ؟ لا بل إنه كان فى سبيل شهوة المجد. الشهوة التى أعمت أبصار هولاء عن كل حق وعن كل عدل وعن كل حقيقة ، و واجب إنسانى ، و مسؤلية إنسانية .

رابعاً : يخافون فى سبيل الله لومة كل لائم !

تلك هى السمـــة الأخيرة البارزة لأمثال هولآء الجبنـاء ، فهم يخافون من اسم الاسلام و من ظل الاسـلام . و يبدو أنهم قد أخذهم الذعر من هذا الاسم العذب الجميل ، لأنه يلصق بهم تهمة « الرجعية » أكبر سبة فى هذا العصر الحديث .

إنهم لا يحبون أن ينزلق هذا الاسم على لسانهم فى مؤتمر صحفى دولى، أو مسرح عالمى فيضحك عليهم الناس و يتندروا بهم .

مساكين هولآء ، لقد تغير الزمان و ولى ذلك العصر الذى كان الاسلام فيه علامة الرجعية، وأصبح الآن مسرح السياسة العالمية والعلاقات الدولية و السياسة الخارجية مسرح كل من يتشجع و يملى كلمته ، و يمثل دولته ، ويأخذ مكانته، ويفرض مهابته ، أما من ينزوى كالقطة المقرورة و يفر كالكلب المذعور ، أو يطير كالغراب الخائف فى أول لقاء ، فعليه أن يلوم نفسه ، و يلوم جبنـــه ، و يلوم صغره فى عينه ، و لا يلوم الاسلام أبداً .

إنهم قدموا ميثاقهم الوطنى الطويل إلى الأمة المصرية المسلمة العريقة فى الاسلام كأنهم يقدمونه إلى أمة لا تعرف معنى الاسلام مطلقاً أو هى صارت بعيدة عنها كالشعب المسلم المظلوم فى ألبانيا ويوغسلافيا مثلا،

و ذلك لمجرد أنهم يخافون فى سبيل الله لومة كل لائم ، و هذا هو الشئ الوحيد الذى حملهم على فصل الدين عن السياسة .

إن ثورتكم ياهولآء – مهما صرح الخطباء وشرح الأدباء – قدرجعت بأرض الكنانة إلى خمسين سنة نحو الوراء . و أصابتها فى أعز متاعها و أغلى أشيائها ، فهل لهذه الثورة من حد تقف عنده ، و هل لهذا الليل من صبح يكشف غمته ، وهل لهذه « الرواية الطويلة الأليمة » من « نهاية مفاجئة سارة » تستدل الستار على هذه المآسى و الآلام والدماء و الدموع للابد ؟

محمد الحســنى

«الأزهر المظلوم»

إن سكوت الأزهر عن الجرائم التى ترتكب فى مصر هذه الأيام ليخلع عنه الصفة التى يحاول الآن أن يصبغها على نفسه من أنه مركز الاشعاع الاسلامى، الاسلام لا يعرف النظام الكنيسى الكهنوتى أو ما شابه ذلك حيث ترسم الخطوط الرئيسية للدين و يغير منه بالحذف أو الزيادة وفق الأهواء ، و إننا لنعتبر الأزهر فى الوقت الحاضر مصلحة حكومية كغيرها فى مصر تتبع السياسة المرسومة لها ، و ليس لعلمائه الحق أو الحرية فى الادلاء برأيهم الصريح الذى يتطلبه منهم الاسلام .

التوجيه الإسلامي

إن التصور الاسلامى يقوم على أساس أن هذا الوجود كله من خلق الله ، اتجهت إرادة الله إلى كونه فكان ، و أودعه الله (سبحانه) قوانينه التى يتحرك بها ، و التى تتناسق بهـا حركة أجزائه فيما بينها ، كما تتسق بها حركته الكلية سواء .

أنظر ص ٢٠

- صفوة الآثار و المفاهيم . .
- شريعة تنسق الحياة مع . .
- مسؤلية القادة و الحكام فى . .

صفوة الاثار و المفاهيم

من تفسير القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

الثـالثة بعد المأة : عبودية الله تحقق لأهلها الأمن فى الحياة الدنيا و الآخرة ، لأن جميع حركاتهم و سكناتهم منوطة بمراقبة رب العالمين ، و الوقوف عند حدوده باعطاء كل ذى حق حقه دون غش ، ولابخس و لا مماطلة ، لأن تأمين الحياة و اسعادهـا بالتعايش السلمى النافع لا يحصل إلا بالعمل لتأمين مابعد الحياة ، بما رسمه الله ورسوله من العدل و الاحسان و الصدق و الوفاء و الاحترام المتبادل حيث قال تعالى :

« و أحسنوا إن الله يحب المحسنين ، ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين ، و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا فى الأرض مفسدين ، «كونوا قوامين بالقسط» وقال (ﷺ) عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به تكن مسلماً، وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مؤمناً ، والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه »

و تحقيق هذه الأعمـال الجالبة للامن فى الدارين متوقف على الايمان بالغيب الذى هو سر العبودية. فالقائمون بعبودية الله هم أهل المدنية الصحيحة والحضارة النافعة إذ الساعون للخير والصلاح والاصلاح

فى الأرض ، هم الذين ينتفع بهم جميع الخلق و يحققون الأمن والسعادة لأهل الأرض عموما ، بخلاف أصحاب المدنية الحديثة الناقصة و الحضارة المادية الخبيثة التى ظاهرها الرحمة و باطنها العذاب ، من إهدار الكرامة و ضياع القيم الروحية بسبب فساد الاخلاق و إقلاق راحة الناس ، بسبب الاطماع والأنانية ، و الذهاب بأمنهم بسبب جعل القوة فوق كل شئ و تقديسها إلى حد العبادة دون التفات إلى الحق ، لأنهم ساروا على مخططات أعداء الله من اليهود وتلاميذهم النصارى ، وأفراخهم الذين تتلمذوا عليهم من سائر الشعوب ، فكانوا وبالا على أممهم بما احتسوه من قيح تلك الثقافات و المخططات و دمها و صديدها ، و ما أشربوا فى قلوبهم من محبتها و منابذة وحى الله .

فهولاء القوم مهما ظهروا و بأى لقب تلقبوا وبأى دعوى ادعوا هم الذين أخربوا الضمائر و أفسدوا الأخلاق و قلبوا الحقائق بالدجل و التهويش ، و نغصوا على الناس معيشتهم و ذهبوا بأمن حياتهم ، و صاروا عوناً لليهود من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون ، لأن الهوى يعمى ويصم ، و مع هذا يصمون الدين بدائهم وبوصفهم الملاصق لهم و الدين براء من ذلك ، و ما الحوادث التى جرت و تجرى منشؤها الدين ، و لكن منشؤها الأحقاد و الأطماع و الأغراض الدينية وطلب الرئاسة ، و العلو فى الأرض ، و محاربة الحق رغبة فى الباطل .

و العجب كيف عموا وصموا عن حروب التتار و مقدماتها الخبيثة و عن الغزو الصليبى للشرق الأوسط و الأندلس و عن حروب القرم و البلقان و عن الحربين العظيمتين اللتين خربت بهما ديار و اتلفت أموال

و أزهقت فيهما أرواح تفوق الحصر ، بل غفلوا عن واقعهم الحالى ، و ما فيه من التهديد بالحروب المدمرة التى يصنع لها كل سلاح فتاك ، قد ظهرت بوادره و مقدماته فى عدة بقاع من الأرض ، وما سبب ذلك إلا الانفلات من عبودية الله و الابتعاد عن شرعه فيما أنزل (١) و لو حقق المسلمون عبودية الله وفق شرعه لحصلوا على الحياة الطيبة وكامل أنواعها و الأمن الصحيح ، فاستراحوا و أراحوا و وهبوا دلك لسائر الناس و كانوا هم هيئة الأمم المحققين للعدل و السلام ، كما أوجب الله عليهم أن يكونوا أمة وسطاً شهداء على الناس قوامين بينهم بالقسط شهداء لله و لا يتحقق ذلك إلا بأقامة عبودية الله تماما .

الرابعة بعد المأة : عبودية الله توجب على أهلها رقابة الرأى العام و السلوك فيما بينهم على كل فرد من أفرادهم ، لمالها من قوة التأثير فى المحافظة على الأخلاق و اختلاج الحياء لكل نفس (والحياء شعبة من شعب الايمان) وصفه النبى ﷺ بأنه خير كله ، وكلما قويت هذه الرقابة ازداد الحياء فى النفوس وتغلغلت الفضيلة إلى كل بيت وتضاءلت الجنايات والجنح أو انعدمت ، ولهذا وصف الله عباده الصادقين بقوله (والمؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض . . . الآية) فلا يدعوا مجالا للريب و القاء الشبهات حول تعاليم دينهم فضلا عن أن يسمحوا بتركيز البرامج الضارة بالعقائد و الأخلاق ، و لا يسمحوا بعرض ما يغرى باللذائذ و

١ - لقد توسعت فى الرد عليهم و ايضاح الحقيقة التى تدحضهم فى كتابى (الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة) و كتاب (الانسان الكامل و الحيوان) و كتاب (العروبة المبخوسة و الدين المحكوم) فى الرد على محرر مجلة « العربى » وغيرها .

الشهوات بأى أسلوب و أى وسيلة ، لأنها تخرج الانسان من إنسانيته الزكية إلى الطبائع البهيمية، ولايقفوا موقفاً سلبياً من ذلك فيخرجوا من حظيرة الايمان و حقيقة العبودية شأن كثير من أهل هذا الزمان الذين أضاعوا أصول التربية ، بل تنازلوا عن حقهم الأصيل بلا عوض و استرخصوا أنفسهم بكل زهيد .

الخامسة بعد المأة : عبودية الله تقتضى التأسى برسول ﷺ فى كل شئ و فى كل ناحية من نواحى الحياة ، و أن يتبع المسلم سنته و لا يتعلل بقصر العمل و الحجة على القرآن ، فان هذا من عمل الزنادقة ، الذين يريدون الذهاب و الاطاحة بشطر الشريعة ، فالسنة مستقلة بتشريع الأحكام و هى كالقرآن فى التحليل و التحريم و سائر التشريع ، و قد ثبت عنه ﷺ أنه قال (ألا و إنى أوتيت القرآن و مثله معه) وغير ذلك مما سأذكره فى سورة النساء إن شاء الله ، و قد أناط الله محبته باتباع رسوله فقال على لسانه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) .

السادسة بعد المأة : يتضح فى حصر الابتهال إلى الله بـ (إياك نعبد) تحقيق لتوحيد الألوهية بجميع معانيه ، و القيام بواجب العبوديه من جميع صنوف العبادات التى تنتزع النفس من التعلق بماديات الحياة و توجيهها إلى خالقها و فاطرها لتستمد منه النور و تستعين به على تسخير الماديات من أجل نصرة دينه و استعمالها فى ما يقربها إلى وجهه الكريم من طلب الحياة الحرة الكريمة العزيزة فى الدنيا بنصرة ما أنزله و فرض الحكم به فى الأرض ، فينال وعد ربه فى الدنيا من التمكين

و الاستخلاف و الأمن الصحيح ، و وعده فى الآخرة من الرضوان و الفوز فى فراديس الجنان .

السابعة بعد المأة : يتضح فى حصر الابتهال إلى الله بـ (إياك نعبد وإياك نستعين) قوة الايمان بالغيب بحيث يكون كالمشاهدة، و ذلك أن المسلم المصدق بوحى الله و المتلقى لميراث نبيه بالقبول يستعمل عقله أولا بالاستبصار فى نفسه وبنى جنسه كيف خلق ؟ هل خلق من غير شئ أو خلق نفسه ، أو لابد للمخلوق من خالق و المصنوع من صناع، فيتيقن أنه مخلوق من رب قادر مبدع لطيف حكيم ، فينظر كيف خلقه الله وحفه بألطافه ، و هو جنين فى بطن أمه، بأن جعله فى قرار مكين محفوظ ، و أنشأه أطواراً فى هذه الظلمات و أمده فيها بما يتغذى به بعد استكماله ، و نفخ الروح فيه وتصويره وإكماله فى أتم خلق وأحسن صوره ، ثم سهل إخراجه من تلك الظلمات و لطف به بانباع لبن حلو شهى من ثدى أمه و حنن عليه والديه حناناً جعلهما يصبران على وسخه ، و أذاه و يكدحان و يسهران فى راحته والحرص على حياته .

ثم يتفكر فيما سخر الله له فى الأرض و ما هيؤه فيها من طعامه حيث أجرى فى الأرض ينابيع المياه مما أودعه فيها، و ما ينزله من المطر و شققها له بانبات أنواع الزروع و الثمار كما هو مذكور فى القرآن ومشاهد بالعيان، مما سأفصله عند ذكره فى سورة الأنعام والزمر و الواقعة و عبس ، ثم يتفكر فى سائر خلق الله و ما بثه فى الأرض فى جوفها و أجوائها من دابة و مادة ، و ينظر إلى الطيور المسخرات فى جو السماء .

ثم تتفكر فى العوالم العلوية فى السماء التى زينها بالنجوم و أمسكها من الوقوع على الأرض، فيهديه تفكره أن الاله الخالق لهذه العوالم هو رب واحد و إله واحد لا شريك له فى خلقه و تدبيره ، إذ لو كان له شريك فى ذلك لذهب بما خلقه منه ، واستغل به أو حاول الاستعلاء على الآخر و إخضاعه، فيحصل التنافس و الانتقام و يقع الاضطراب و يحصل الخراب فى هذه الأكوان، كما يحصل بين الأعداء المتحاربين ، فيجزم بوجدانية الله فى خلقه و تصريفه و أمره و يعرف أنه المستحق للشكر الحقيق على إنعامه المتواصل بالاخلاص فى حبه و الصدق فى معاملته ، و الفقر إلى مدده و معونته فى كل حال ، فيقبل على عبادته و التقرب إليه بطاعته و التزام أحكامه طالباً منه العون على ذلك مبتهلا إليه بهذه الآية التى علمها إياه لطفاً به وفضلا منه عليه، و بصدقه فى ذلك الابتهال ييسر الله له اليسرى و يجنبه العسرى و يعينه على شكره ، و ذكره و حسن عبادته و يحصل أيضاً بذلك على :

الثامنة بعد المأة : و هى أنه ينبعث من حصر استعانة العبد بربه تعالى أنه يتجرد عن السطحية و يتغلغل فى فهم وجوده ، ومعرفة شخصيته، و أن الله خلقه ليكون خليفة فى الأرض و بصره و هداه بجميع أنواع الهداية ليهيئة لاستثمار كل طاقة مما سخره له فى ملكوت السموات و الأرض، يستعين بها على خدمته فى القيام بأعباء تلك الخلافة، فيأخذ بجميع الأسباب التى يستعين بها على تحقيق أهدافه الكريمة المكلف بها فى الحياة، لئلا يغلبه غيره عليها من عباد المادة و الشيطان، فيستذله بما حازه من تلك الطاقات الهائلة إذا فرط فيها .

فينبغى للمبتهل إلى الله بتلك الآية أن يعتبرها عهداً ، يجدده مع الله كلما ابتهل بها إليه، فيصدق مع الله بتكريس كافة جهوده واستعمال كل طاقة ممكنة للوفاء مع الله بهذا العهد ، و بحسن نيته و صدق عزيمته تتحقق له استعانته بربه ، فيواصل نشاطه وحينئذ لا يسبقه المبطلون إلى استغلال ما سخره له مولاه ، بل يسبقهم إليه و يغلبهم عليه و يغالبهم فيه ليتمكن من أداء رسالته فى الأرض و فرض عقيدته الابراهيمية المحمدية و تنفيذ حكم ربه فى الأرض ، و اصلاح مجتمعاتها على ضوئه و قطع دابر الظلم والفساد وكبت الكفر وقمع المفترى على الله بسيطرته على زمام الأمور لسبقه فى المخترعات ، و تغلبه على تسخير كل مادة فى الكون مما لو فرط به عرض نفسه لعبودية غير الله ، و كان غير متمكن من اصلاح عائلته التى يطبعها المتغلب عليه بالطابع الذى يهواه ، إذبتعطيله لعقله و مواهبه ، لم يحقق استعانته بربه و لم يصدق معه فى خدمته ، و الجهاد فى سبيله لتنفيذ حكمه وإعلاء كلمته فيفسح المجال لغيره حتى يتقوى عليه و يتحكم فيه .

وإذاً فلاقيمة لدين صاحبه محكوم لايحكم، مزحوم لايزحم، فتحقيق العمل بهذه الآية الكريمة ينتشل المسلم نفسه من ذل الحياة ورق الطغاة الذى يحصل غالباً بسبب البيئة الفاسدة أوالجهل القاتل أو التعصب الأعمى أو التقليد للمغررين الذين يفتنون الناس بملاذ الحياة عن المقاصد السامية و يربوهم على إيثار الشهوات العاجلة التى ينشؤ عنها امتهان كرامتهم و نسيانهم لقيمتهم ، أما إذا أخذ الانسان بهذه الآية ارتفع عن كل مذلة

البقية على ص ٢٧

شريعة تنسق الحياة

مع الناموس الالهى

الأستاذ سيد قطب

إن الاسلام حين يقيم بناءه الاعتقادى فى الضمير و الواقع على أساس العبودية الكاملة لله وحده : و يجعل هذه العبودية متمثلة فى الاعتقاد و العبادة والشريعة على السواء ، باعتبار أن هذه العبودية الكاملة لله وحده - فى صورتها هذه - هى المدلول العملى لشهادة أن لا إله إلا الله . . و أن التلقى فى كيفية هذه العبودية عن رسول الله (ﷺ) وحده هو المدلول العملى كذلك لشهادة أن محمداً رسول الله .

إن الاسلام حين يقيم بناءه كله على هذا الأساس ، بحيث تمثل شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله منهج الحياة فى الاسلام و تصور ملامح هذا المنهج ، و تقرر خصائصه ، إن الاسلام حين يقيم بناءه على هذا النحو الفريد الذى يفرقه عن جميع الأنظمة الأخرى التى عرفتها البشرية . . إنما يرجع إلى أصل أشمل فى تقريره عن الوجود كله لا عن الوجود الانسانى وحده ، و إلى منهج للوجود كله لا منهج للحياة الانسانية وحدها .

إن التصور الاسلامى يقوم على أساس أن هذا الوجود كله من

خلق الله ، اتجهت إرادة الله إلى كونه فكان ، وأودعه الله - سبحانه - قوانينه التى يتحرك بها ، و التى تتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها ، كما تتسق بها حركته الكلية سواء :

« إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له : كن فيكون » النمل ٤٠

« و خلق كل شئ فقدره تقديراً » . . (الفرقان ٢)

إن وراء هذا الوجود الكونى مشيئة تدبره ، و قدراً يحركه ، وناموساً ينسقه ، هذا الناموس ينسق بين مفردات هذا الوجود كلها ، و ينظم حركاتها جميعاً ، فلا تصطدم ، ولا تختل ، ولاتتعارض ، ولاتتوقف عن الحركة المنتظمة المستمرة - إلى ما شاء الله - كما أن هذا الوجود خاضع مستسلم للمشيئة التى تدبره ، والقدر الذى يحركه ، والناموس الذى ينسقه ، بحيث لا يخطر له فى لحظة واحدة أن يتمرد على المشيئة ، أو أن يتنكر للقدر ، أو أن يخالف الناموس . . و هو لهذا كله صالح لا يدركه العطب و الفساد إلا أن يشاء الله :

« إن ربكم الله الذى خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق و الأمر ، تبارك الله رب العالمين » . (الأعراف ٥٤)

و الانسان من هذا الوجود الكونى ، و القوانين التى تحكم فطرته ليست بمعزل عن ذلك الناموس الذى يحكم الوجود كله ، لقد خلقه الله - كما خلق هذا الوجود - و هو فى تكوينه المادى من طين هذه الأرض وما وهبه الله من خصائص زائدة على مادة الطين جعلت منه إنساناً إنما

رزقه الله إياه مقدراً تقديراً ، و هو خاضع من ناحية كيانه الجسمى للناموس الطبيعى الذى سنه الله له - رضى أم أبى - يعطى وجوده و خلقه ابتداء بمشيئة الله، لا بمشيئه هو ولا بمشيئته أبيه وأمه - فهما يلتقيان و لكنهما لا يملكان أن يعطيا جنيناً وجوده - و هو يولد وفق الناموس الذى وضعه الله لمدة الحمل و ظروف الولادة .

و هو يتنفس هذا الهواء الذى أوجده الله بمقاديره هذه ، ويتنفسه بالقدر و بالكيفية التى أرادها الله له ، و هو يحس و يتألم ، و يجوع و يعطش ، ويأكل ويشرب ، ويمثل الطعام والشراب . . وبالجملة يعيش . . وفق ناموس الله ، عفى غير إرادة منه و لا اختيار . . شأنه فى هذا شأن هذا الوجود الكونى وكل ما فيه وكل من فيه ، فى الخضوع المطلق لمشيئة الله و قدره و ناموسه . .

و الله الذى خلق هذا الوجود الكونى و خلق الانسان ، و الذى أخضع الانسان لنواميسه التى أخضع لها الوجود الكونى ، هو سبحانه الذى سن للانسان « شريعة » لتنظيم حياته الارادية تنظيما متناسقاً مع حياته الطبيعية، فالشريعة - على هذا الأساس - إن هى إلا قطاع من الناموس الالهى العام الذى يحكم فطرة الانسان ، و فطرة الوجود العام و ينسقها كلها جملة واحدة .

و ما من كلمة من كلمات الله ، و لا أمر و لا نهى . و لا وعد و لا وعيد ، و لا تشريع و لا توجيه . . إلا و هى شطر من الناموس العام ، و صادقة فى ذاتها صدق القوانين التى نسميها القوانين الطبيعية أى - القوانين الالهية الكونية - التى نراها تتحقق فى كل لحظة ، بحكم

ما فى طبيعتها من حق أزلى أودعه الله فيها ، و هى تتحقق بقدر الله .

و « الشريعة » التى سنها الله لتنظيم حياة البشر هى - من ثم - شريعة كونية ، بمعنى أنها متصلة بناموس الكون العام ، و متناسقة معه، و من ثم فان الالتزام بها ناشئ من ضرورة تحقيق التناسق بين حياة الانسان : و حركة الكون الذى يعيش فيه ، بل من ضرورة تحقيق التناسق بين القوانين التى تحكم فطرة البشر المضمرة ، والقوانين التى تحكم حياتهم الظاهرة ، و ضرورة الالتئام بين الشخصية المضمرة و الشخصية الظاهرة للانسان .

و لما كان البشر لا يملكون أن يدركوا جميع السنن الكونية ، و لا أن يحيطوا بأطراف الناموس العام - و لا حتى بهذا الذى يحكم فطرتهم ذاتها و يخضعهم له - رضوا أم أبوا - فانهم - من ثم - لا يملكون أن يشرعوا لحياة البشر نظاما يتحقق به التناسق المطلق بين حياة الناس و حركة الكون ، و لا حتى التناسق بين فطرتهم المضمرة و حياتهم الظاهرة ، إنما يملك هذا خالق الكون و خالق البشر ، و مدبر أمره و أمرهم ، وفق الناموس الواحد الذى أختاره و ارتضاه .

و كذلك يصبح العمل بشريعة الله واجباً لتحقيق ذلك التناسق . . و ذلك فوق وجوبه لتحقق الاسلام اعتقاداً ، فلا وجود للاسلام فى حياة فرد أو حياة جماعة ، إلا باخلاص العبوديه لله وحده ، و باللتى فى كيفية هذه العبودية عن رسول الله وحده ، تحقيقاً لمدلول ركن الاسلام الأول : شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله .

و فى تحقيق التناسق المطلق بين حياة البشر و ناموس الكون كل

الخير للبشر ، كما أن فيه الصيانة للحياة من الفساد ، إنهم – فى هذه الحالة وحدها – يعيشون فى سلام مع الكون و فى سلام مع أنفسهم، فأما السلام مع الكون فينشأ من تطابق حركتهم مع حركة الكون ، و تطابق اتجاههم مع اتجاهه . . و أما السلام مع أنفسهم فينشأ من توافق حركتهم مع دوافع فطرتهم الصحيحة ، فلا تقوم المعركة بين المرء و فطرته ، لأن شريعة الله تنسق بين الحركة الظاهرة و الفطرة المضمرة ، فى يسر و هدوء . . وينشأ عن هذا التنسيق تنسيق آخر فى ارتباط الناس و نشاطهم العام ، لأنهم جميعاً يسلكون حينئذ وفق منهج موحد ، هو طرف من الناموس الكونى العام .

كذلك يتحقق الخير للبشرية عن طريق اهتدائها و تعرفها فى يسر إلى أسرار هذا الكون ، و الطاقات المكنونة فيه و الكنوز المذخورة فى أطوائه ، و استخدام هذا كله وفق شريعة الله ، لتحقيق الخير البشرى العام ، بلا تعارض و لا اصطدام .

و مقابل شريعة الله هو أهواء البشر :

« و لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات و الأرض و من فيهن » . . (المؤمنون ٧١)

و من ثم توحد النظرة الاسلامية بين الحق الذى يقوم عليه هذا الدين ، و الحق الذى تقوم عليه السماوات و الأرض ، و يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، ويحاسب الله به ويجازى من يتعدونه ، فهو حق واحد لايتعدد، وهو الناموس الكونى العام الذى أراده الله لهذا الوجود فى جميع الأحوال ، و الذى يخضع له و يؤخذ به كل ما فى الوجود من

عوالم و أشياء و أحياء . .

« لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ، أفلا تعقلون ! و كم قصمنا من قرية كانت ظالمة و أنشأنا بعدها قوما آخرين ، فلما أحسوا بأسنا إذاهم منها يركضون ، لاتركضوا و ارجعوا إلى ما أترفتم فيه و مساكنكم لعلكم تسألون ، قالوا : ياويلنا إنا كنا ظالمين ! فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ، وما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ، إن كنا فاعلين ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، و لكم الويل مما تصفون ، و له من فى السماوات و الأرض ، و من عنده لا يستكبرون عن عبادته ولايستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لايفترون » (الأنبياء ١٠ – ٢٠)

و فطرة الانسان تدرك هذا الحق فى أعماقها ، فطبيعة تكوينه و طبيعة هذا الكون كله من حوله ، توحى إلى فطرته بأن هذا الوجود قائم على الحق ، و أن الحق أصيل فيه ، و أنه ثابت على الناموس ، لا يضطرب ، و لا تتفرق به السبل ، و لا تختلف دورته ، و لا يصطدم بعضه ببعض ، و لا يسير وفق المصادفة العابرة و الفلتة الشاردة ، و لا وفق الهوى المتقلب و الرغبة الجامحة ! إنما يمضى فى نظامه الدقيق المحكم المقدر تقديراً . . و من ثم يقع الشقاق – أول ما يقع – بين الانسان و فطرته عندما يحيد عن الحق الكامن فى أعماقها ، تحت تأثير هواه ، و ذلك عندما يتخذ شريعة لحياته مستمدة من هذا الهوى لا من شريعة الله ، وعندما لايستسلم لله استسلام هذا الوجود الكونى الخاضع لمولاه .

و مثل هذا الشقاق يقع بين الأفراد والجماعات والأمم والأجيال

كما يقع بين البشر و الكون من حولهم ، فتنقلب قواه و ذخائره وسائل تدمير و أسباب شقاء ، بدلا من أن تكون وسائل عمران و أسباب سعادة لبنى الانسان .

و إذن فان الهدف الظاهر من قيام شريعة الله فى الأرض ليس مجرد العمل للاخرة ، فالدنيا والآخرة معاً مرحلتان متكاملتان ، وشريعة الله هى التى تنسق بين المرحلتين فى حياة هذا الانسان ، و تنسق الحياة كلها مع الناموس الالهى العام .

و التناسق مع الناموس لا يؤجل سعادة الناس إلى الآخرة ، بل يجعلها واقعة و متحققة فى المرحلة الأولى كذلك ، ثم تتم تمامها و تبلغ كمالها فى الدار الآخرة .

هذا هو أساس التصور الاسلامى للوجود كله ، وللوجود الانسانى فى ظل ذلك الوجود العام ، وهو تصور يختلف فى طبيعته اختلافا جوهرياً عن كل تصور آخر عرفته البشرية ، و من ثم تقوم عليه التزامات لاتقوم على أى تصور آخر فى جميع الأنظمة و النظريات .

إن الالتزام بشريعة الله - فى هذا التصور - هو مقتضى الارتباط التام بين حياة البشر و حياة الكون ، و بين الناموس الذى يحكم فطرة البشر و يحكم هذا الكون ، ثم ضرورة المطابقة بين هذا الناموس العام و الشريعة التى تنظم حياة بنى الانسان ، وتتحقق بالتزامها عبودية البشر لله وحده ، كما أن عبودية هذا الكون لله وحده لايدعيها لنفسه إنسان .

و إلى ضرورة هذا التطابق والتناسق يشير الحوار الذى جرى بين إبراهيم - عليه السلام - أبى هذه الأمة المسلمة - و بين « نمرود »

المتجبر المدعى بحق السلطان على العباد فى الأرض ، و الذى لم يستطع - مع ذلك - أن يدعى بحق السلطان على الأفلاك والأجرام فى الكون و بهت أمام ابراهيم عليه السلام ، و هو يقول له : إن الذى يملك السلطان فى الكون هو وحده الذى ينبغى أن يكون له السلطان فى حياة البشر ، و لم يحر جواباً على هذا البرهان .

« ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه - أن آتاه الله الملك - إذ قال إبراهيم : ربى الذى يحى و يميت ، قال : أنا أحيى و أميت ! قال إبراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . . فبهت الذى كفر ، و الله لا يهدى القوم الظالمين » (البقرة : ٢٥٨)

و صدق الله العظيم :

« أفغير دين الله يبغون ، و له أسلم من فى السماوات و الأرض طوعا و كرهاً و إليه يرجعون ؟ » (آل عمران : ٨٣)

بقية ص ١٩

و تحرر من كل استرقاق و استئثار قلبه بوحى الله و خبر ضميره بعبادته الصحيحة و قويت معنويته و ازدادت فروسيته و عظمت إرادته على كل إرادة لأعدائه ، فكان له الحس المرهف والضمير الحى والارادة المصممة التى تتوافر لديها عناصر البناء الصحيح ، فسبق أعداء الله و أعداءه إلى كل شئ ، و تفوق عليهم فى كل شئ و كان هو المسير لأهل الأرض ، و المصلح لأحوالهم المتبوء منزلة أشرف وأفضل و أصدق مما يسمى بهيئة الأمم أو مجلس الأمن ونحوه من الأسماء الكاذبة ، بدلا من حالته المعكوسة اليوم ، ونظرة واحدة إلى تاريخ الصحابة تصدق ما قلناه . (يتبع)

مسؤلية القادة و الحكام
فى الدولة الاسلامية

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
(معرب)

أما مطالب العمال وحاجات المؤظفين التى تراعيها الدولة الاسلامية فى تقرير رواتبهم فقد صرح بهـا النبى ﷺ فى رواية و قال : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة ، فان لم يكن له خادم فليكتسب خادما و إن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا ، من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق » شك الراوى ، (سنن أبى داؤد كتاب الخراج والفئ و الامارة) .

إن هذا الحديث يشمل المؤظفين كلهم على السواء ، و هو إن دل على شئ فيدل على أن المؤظفين كعمال للحكومـة متساوون ، لا يفوق بعضهم بعضاً ، و الدولة مسؤلة عن سد مطالبهم وحاجاتهم البدائـية ، أما المطالب الشخصية فلا تختلف باختلاف أنواع الوظيفـة فى الدولة الاسلامية ، و قد كان مستوى الرواتب فى عهد الخلافة الراشدة على ما ذكر فى الحديث الآنف الذكر ، فلم يكن هناك فرق فى توزيع الغنائم بين جندى عادى و قائد الجنود ، كما لم يكن فرق فى تقرير المرتبات بين عامل و حاكم ، فقد كان مستوى كل مؤظف واحداً ، و كانت الدولة تعين

ذلك المستوى نظراً إلى مطالب المؤظف و حاجاته و مصالحه .

أما كتب التاريخ التى تشير إلى أن بعض المؤظفين الذين شغلوا المناصب العليا فى عهد الخلافة الراشدة كانوا يتقاضون رواتب ضخمة ، فلا أعتقد أن لهذه الوقائع الشاذة أساساً ، و إنما هو خطأ من الرواة ، و الحقيقة أن المسلمين فى ذلك العهد كانوا ينالون الوظائف من بيت المـال سواء كانوا مؤظفين فى الحكومة أولا ، و أظن أن هذا هو موضع الخطأ من الرواة الذين لم يفرقوا بين الوظيفة العامة و الراتب فجمعوا بينهما وقالوا إن فلاناً يتقاضى من الدولة مثل هذا المبلغ الكبير .

وبهذه المناسبة أحب أن أتحدث عن شأن الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله فى الوظيفة فقد كان من عادته أن يوزع من مال الفئ مايتوفر عن مصالح الدولة بين المسلمين على السواء ، لأن المسلمين هم الذين يستحقون هذا المال فى النظام الاسلامى ، و لـكن عمر رضى الله عنه اعترض عليه بهذه القسمة إذ كان يرى أن يراعى الخليفـة فى توزيعه عزة السبق و الخدمة و شرف القدم ، و لـكن أبا بكر الصديق لم يقبل مـنه هذا الاقتراح ، و قال إن العبرة بخدمة الدين و السبق فى الاسلام هو جزاء الله الذى يجزى كلا على عمله و خدمته فى الآخرة . أما هذا المـال فهو يتصل بالحياة الدنيا ، إذاً فلا ينبغى لنا أن نقر بفرق فى توزيع حوائج المعيشة بين الناس ، بناءاً على ما يتعلق جزاؤه فى الآخرة .

و لما استخلف عمر رضى الله عنه اجتهد فى هذا الأمر و اتخذ له طريقاً آخر غير طريق الخليفة أبى بكر رضى الله عنه فى توزيع الفئ ، وأسس مبدءاً فى تقسيم الوظائف فقال « الرجل وخدمته ، الرجل وبلاؤه

الرجل و عياله ، الرجل و حاجته ، و لكنه أبدى رأياً آخر قبل وفاته بأيام و قال : لو عشت لأساوى الناس كلهم فى تقسيم الوظائف ، غير أنه لم يتمكن من تنفيذ نظرته حتى استشهد .

و بهذا نعلم أن الخليفتين سيدنا أبا بكر و عمر رضى الله عنهما كانا يريان رأيا واحداً فى توزيع مال الفئ ، و هى المساواة بين المسلمين كلهم ، وهذا هو مذهب سيدنا على رضى الله عنه المعمول به فى عهده .

و لكن العصر الحديث لا يسمح بتوزيع الوظائف و المنح على هذا الخط ، فان الخلفاء الراشدين لم يتخذوا ذلك المنهج إلا لأجل أن بيت مال الدولة كان عامراً يفوق الحصر لسبب الفتوح و الانتصارات الاسلامية المتتابعه ، و كانت مصالح الدولة محدودة ، بالعكس من هذا العصر فقد توسعت فيه مطالب الدول و ضروراتها ، و تحدد نطاق الانتصارات و الدخل بالنسبة إلى السابق ، زيادة إلى ما نشأ فى هذا العصر من أمور خيرية تشرف عليها الحكومة وتنفق على مصالحها حرصاً على تعميم النفع الاجتماعى فى سكان البلاد ، مما لا يتيسر بالانفاق على منح المسلمين و وظائفهم الفردية .

تعهد مال الدولة

يجب على كل عامل أن يتعهد مال الدولة و يصونه من كل خيانة أو سرقة ، و قد أقام الخليفة عمر رضى الله عنه مثال هذه الأمانة ما يتعذر نظيره فى تاريخ الحكومات فى العالم ، يروى أن علياً رضى الله عنه : رأى ذات مرة الخليفة عمر رضى الله عنه مسرعا خارج المدينة ، فسأله على عما يريده فى مثل هذه الظهيرة ذات حر و شمس ، فقال قد

فقد بعير من بيت مال الدولة و أذهب لأبحث عنه ، فأجابه على رضى الله عنه قد تعبت الخلفاء بعدك ، و لعله أراد بقوله هذا ، إن كان هذا هو مقياس الخدمة و الأمانة فمن يدانيك بعدك ، و يرضى بقبول منصب الخلافة ؟

العدالة بين الأمير و المأمور

و من خصائص النظام الاسلامى أنه لا يرضى لأمير أو حاكم يتولى أمور المسلمين أن يتظاهر بعلوه ويعاملهم فى الحياة العادية بما يتجلى به نزعة التفوق و الزعامة عليهم، فقد سبق أن قدمنا تصريحات كبار الخلفاء التى تتصل بهذا الموضوع بعناوين مختلفة ، ولاحاجة إلى استعادتها فى هذه المناسبة ، إنما نسوق الآن وقائع شتى تمثل جو الدولة الاسلامية العام و محيطها الذى تعيش فيه ، لكى نقدر شأن نظام يقوم على أساس الحكم لله ، كيف تتنور جميع نواحيها و جوانبها بنور العدالة و المساواة و كيف يتلاشى ذلك العنصر الفاسد من البشر الذى كل همه أن يتحكم فى رقاب المستضعفين من الناس .

يروى أن الجيش الاسلامى فى أحد مراكز العراق بعث إلى أبى عبيدة قائد الجيش طعاما خاصاً كهدية له ، و أخبر أنه هدية خصها الجيش به، فسأل أبو عبيدة عما إذا كان هذا الطعام قد أكله الجيش أيضاً فقالوا له لا و إنما هو طعام خاص ، فأبى أبو عبيده قبول الهدية وقال :

« لا حاجة لنا فيه ، بئس المرء أبو عبيدة أن صحب قوما من بلادهم ، وأهراقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوها ، فاستأثر عليهم بشئ يصيبه لا ، و الله لا يأكل مما أفاء الله عليهم ، إلا مثل ما يأكل أوساطهم »

وقد بعث المقوقس سفراءه إلى عمرو بن العاص فى مصر ، للفاوضة فى أمر الصلح ، فلما عاد السفراء سألهم المقوقس عن حالة الجيش الاسلامى . فصور له رئيس السفراء صورة الجيش الاسلامى بما يلى :

« ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة ، و لا نهمة ، و إنما جلوسهم على التراب ، و أكلهم على ركبهم ، أميرهم كأنه واحد منهم ، مايعرف رفيعهم من وضيعهم ، و لا السيد من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها فيهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشون فى صلواتهم »

فلما سمع المقوقس هذا الكلام قال : و الذى يقسم به لو أن مثل هولاء هاجموا على الجبال لأزالوها عن مكانها ، فوالله لا يحاربهم قوم إلا انهزموا .

يتبع

التعصب الذميم !

لولا أن التعصب الذميم يغطى على أبصار هولآء الغربيين، لوجدوا فى شريعة محمد وسيرته ما يأخذ بيدهم إلى الأمن ، مما يتهاوون فيه من شقاء ، و لكن الله لم يرد لهم هذا الخير ، و لعله ادخره لأمة أخرى ، تكون أبر بالانسانية و أحنى على جراحها ، و أهدى إلى حل مشكلاتها من هولآء المتعصبين المغرورين .

الدكتور مصطفى السباعى

الدَّعْوَةُ الإِسْلَامِيَّة

إن هذا العصر الذى نعيش فيه قد تعدى حدود الحق واحتل محل الاله ، حتى أصبح الاعتداء على سلطان الله لمصالح القومية والوطنية عقيدة و إيماناً ، مهما جر ذلك إلى ظلم و عدوان على الناس ، و أصبحت شهوة الوطن و الثروة و الحكومة منطلقة عن حدود الله. أنظر ص ٣٥

- أصنام كأصنام الجاهلية
- الالحاد عوامله و أسبابه
- الحركة السنوسية ، رمز وأمل . .

أصنام كأصنام الجاهلية

فضيلة الشيخ محمد منظور النعمانى
رئيس تحرير مجلة «الفرقان» لكهنؤ الهند
(معرب)

إذا كانت الحضارة الغربية قدبعثت فى قلوب الناس مقتاً وكراهة نحو الشرك القديم لأنه لا يقوم إلا على أساس الأوهام والجهالة فانها قد اخترعت أصناما جديدة من القوم ، و الوطن ، و القومية، والوطنية و البطن ، و الثروة ، و السلطة ، و ما إلى ذلك ، ووضعتها محل الأصنام القديمة ، و حببت إليهم عبادتها و الخضوع أمامها .

و مما لا شك فيه أن حب الوطن و بنى الجنس ليس مما يعاب بل هو شئ من فطرة الانسان ، و هو محبوب بعض الأحيان ، كما أن السعى فى المعاش و الرغبة فى العيشة الراضية المطمئنة و الرجوع إلى القوم و الوطن ليس مما يبغض فى الشريعة الاسلامية إذا كان عن حسن نية ، و بطريق حسن ، كما أن السعى وراء الحصول على منصب الحكم أو القيادة لبسط العدل ، و خدمة الخلق أو لغرض آخر مما يتصل نفعه بمصالح الحياة ، لا يعد منكراً ، وليس مما نهى عنه الأنبياء عليهم الصلوات و السلام ، و إنما بينوا له أحكاما عادلة و شرائع قويمة .

غير أن هذا العصر الذى نعيش فيه قد تعدى حدود الحق واحتل محل الاله ، حتى أصبح الاعتداء على سلطان الله لمصالح القومية والوطنية عقيدة و إيماناً ، مهما جر ذلك إلى ظلم وعدوان على الناس ، وأصبحت شهوة البطن و الثروة والحكومة منطلقة عن حدود الله ، كأن البطن إله يستحق أن يعبد على أى نحو كان ، كما أن الثروة و الحكومة إله يقتضى تضحية كل مبدء من مبادىء الدين و الأخلاق باسمه .

و كم من الناس من اتخذوا هذه الأمور كلها إلهاً يعبد ، و العالم ينجرف فى تياره اليوم . فما هذه القومية ، و الوطنية ، و الخضوع أمام شهوات البطن والسلطة و الثروة والجاه إلا الشرك الذى اكتشفه العصر الحديث ، و لا مكان له فى العقيدة الاسلامية أبداً ، و فى أى حال من الأحوال .

و ينبغى لنا - نحن المسلمين - أن نعلن بكل صراحة أمام هذا الشرك الحديث و القديم ما أعلنه إمام التوحيد ابراهيم عليه الصلاة و السلام « إنا براء منكم ، و مما تعبدون من دون الله »

إن الأصل فى هذه العبادات المشركة إنما هو اتباع هوى النفس ، و أعنى به أن يصرف الانسان نظره عن ما أمره الله به و يمتثل ما ينبعث فى نفسه من الأهواء و الشهوات ، و ذلك هو أساس كل شرك و كل ذنب و كل معصية ، و على هذا الاعتبار فان النفس هى الصنم الأكبر ، و هى منبع كل فساد .

و قد سمعنا بعض العارفين فى هذا العصر أنهم يركزون كل جهودهم فى شرح كلمة الاسلام على هذه النقطة ، إذ أنهم يرون أن هذه الكلمة

إنما تتطلب من كل مسلم أن لا يتبع نفسه فى الأمور ، بل يتبع ما أمره الله به ، و قد عبر القرآن فى موضع هوى النفس بالاله فقال « أرأيت من اتخذ إلهه هواه » والآية تدل على أن الانسان إذا اتبع هواه نابذاً أحكام الله و شريعته وراء ظهره فلا شك أنه يعبد النفس ، و اتخذها إلهاً ، و قد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك »

إذاً يجب علينا أن ننفى كل شئ يشوبه نوع من الألوهية بكلمة لا إله إلا الله ، و نملأ أنفسنا بالمقت و الكراهية من كل شرك ، لكى نخلص عقيدتنا لله و نكمل كل جانب منها ، فان الله تعالى يبغض الشرك أشد البغض ويحب التوحيد الذى هو روح الدين كله ، « إن الله لايغفر أن يشرك به ، و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء »

و مما يجدر بالذكر فى هذه المناسبة أن الله سبحانه و تعالى عندما ختم النبوة بالنبى ﷺ أكمل عقيدة التوحيد على يده لكى لا تبقى مندوحة للشرك فى أى شعبة من شعب الحياة ، و قد سد جميع تلك الطرق التى كان يتمكن بها الشيطان من نشر دعوة الشرك فى أمة عيسى عليه الصلاة والسلام، و لذلك لم يستطع الشيطان أن ينبه عقيدة الشرك فى قلوب أمة محمد ﷺ ، و قال النبى ﷺ و هو يشير إلى هذه الحقيقة « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فانما أنا عبده ، فقولوا عبد الله و رسوله » (رواه البخارى و مسلم)

و أنذر النبى ﷺ أمته بما فعلته بعض الأمم السالفة من اتخاذ قبور أنبيائها مساجد فقال : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور

أنبيائهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك » (رواه مسلم) كما ابتهل محمد ﷺ فى مرضه الأخير إلى الله تعالى داعياً إياه : « أللهم لا تجعل قبرى و ثنا يعبد » (الموطأ للامام مالك) .

و جاء فى حديث آخر رواه أبو داؤد فى سننه :

« عن قيس بن سعد قال أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت لرسول الله ﷺ أحق أن يسجد له، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إنى رأيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت أحق أن نسجد لك، فقال لى أرايت لومررت بقبرى أكنت تسجد له فقلت لا، فقال لا تفعلوا »

و سأل سلمان الفارسى النبى ﷺ عما إذا سجد له فقال : « فلا تسجد لى و اسجد للحى الذى لا يموت » وقدنهى النبى ﷺ أصحابه عن القيام إجلالا له فضلا عن السجدة .

إن هذا التاكيد فى المنع عن مثل هذه الأمور لم يكن إلا لسد كل طريق يدعو إلى إشراك بالله ، و نستطيع أن نقدر مدى اهتمام رسول الله ﷺ باغلاق باب الشرك عندما توفى ابنه ابراهيم على أبيه الصلاة و السلام، و صادفت وفاته كسوف الشمس ، فخاف رسول الله ﷺ على الناس أن لا يعودوا إلى عقيدة جاهلية كانت تعتقد أن الشمس و القمر لا ينكسفان إلا لحادث يقع فى العالم ، و هنالك جمع النبى عليه الصلاة و السلام الناس فى المسجد ، و صلى ركعتى الكسوف و خطب للناس فقال مما قال :

« إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد

و لا لحياته » و لم يرض النبى عليه الصلاة و السلام بأن يخطر على بال الناس أن الكسوف إنما حدث لفاجعة أصابت رسول الله ﷺ ، و هكذا الشريعة الاسلامية كلها تنطوى على إثبات التوحيد ، و نفى الشرك .

وليس المنع عن أداء الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها وقيامها فى نصف النهار إلا لينتفى الشبه الظاهر بعباد الشمس ، و لا يقع أحد فريسة الشرك و الكفر .

و مثال آخر ، كل صلاة لا تكتمل بدون الركوع و السجود ، و هى ناقصة ما لم تقيد بالركوع و السجود ، و لكن صلاة الجنازة لا تتقيد بالركوع و السجود و ذلك لكى لا يخطر على بال أن الصلاة على الميت إنما هى تشبه الصلاة فى المسجد ، فتكون مبدء شرك .

و لكن هناك ما يملأ القلوب حزناً ، و أسفاً و هو أن الدين الذى سد على أتباعه كل طريق يفضى إلى نوع من الاشراك بالله ، و حرم على أمته الشرك وعده من أكبر الكبائر أصبح أتباعه اليوم فريسة الشرك ، بمثل ما كانت الأمم الجاهلية فريسته، حتى دخلوا فى صف المشركين ، و تماثلوا الأمم المشركة .

أعاذنا الله من الشرك !

الالحاد ، عوامله و أسبابه

فضيلة الشيخ محمد اسحاق الندوى

السادس : مما يعلمه الجميع أن للصحبة تأثيراً عميقاً فى النفوس ، فأبناؤنا الذين يصاحبون الملحدين يتأثرون بهم وينطبعون بأفكارهم الفاسدة و أخلاقهم الكاسدة ، و ذلك واضح لا يحتاج إلى البيان ، ولكن هناك خطراً دقيقاً لا يسترعى انتباه كثير من الناس، و هو تأثير خبيث لصحبة أهل الفرق الباطلة الذين يدعون أنهم مسلمون كالشيعة و القاديانيين ، فان الاختلاط بهم ربما يضر المسلمين القائمين على دين النبى ﷺ و ملة الصحابة رضوان الله عليهم ، أكثر من اختلاطهم بالملاحدة و الكفار، و هذا مما لا يعترف به من غلب عليه الميل إلى الالحاد من المسلمين ، و الحقيقة أن هذه الفرق الضالة مرضى تتعدى جراثيم ضلالهم إلى الذين يصاحبونهم ، و ربما تؤثر ظلمة قلوبهم على القلوب الصحيحة و تكاد تذهب بنور الايمان و هم لا يشعرون ، و لتجدن أشدهم ضراً و أكثرهم إضلالا للمسلمين ، فانهم لا يدعون إلى شيعتهم فقط بل يريدون إضلال المتدينين ورد المسلمين عن الطريق المستقيم إذا استيأسوا من قبولهم الرفض، تبعاً لمتبوعهم، أعنى اليهود، كما حكى عنهم الكتاب المبين

« ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم » و يتبعهم القاديانيون فهم فى الاضلال أقرب إلى الشيعة .

و ذلك واضح على من جرب الشيعة والقاديانيين و درس التاريخ من ناحية الهداية و الضلال .

و إن للفرق الباطلة مكائد يكيدون بها أهل السنة و الجماعة سنذكر نبذاً منها فى السطور الآتية ، كى تكون أنموذجا لطريق إضلالهم .

(ألف) إذا أراد فرد من أفراد الفرق الباطلة إضلال أحد من المسلمين فانه يدعوه إلى الاتحاد بين المسلمين بناءً على وحدة الكلمة و وحدة القبلة ، و ينسب الخلافات و الافتراقات كلها إلى علماء المسلمين ، ويجهر بالسوء للعلماء و يسعى بينه و بينهم ليقطع الوصلة بينهما ، ويجعله عوداً للعلماء الذين هم عيون الاهتداء ، فاذا انقطعت الوصلة بينه وبينهم صارت الضلالة أقرب إليه من الهداية و تيسر للضل إضلاله ، فلا شك أن انقطاع الجمهور عن العلماء كانقطاع السمك عن الماء ، و الطير عن الهواء ، و هو أول خطوة إلى موت القلب .

و بعضهم يرفع قوما آخر إلى الاضلال و يجهد كل الجهد أن يزيل حب الصحابة و عظمتهم عن قلوب المسلمين الشباب، و من أساء النطق بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقد ضل و غوى .

و يكيد بعضهم كيداً آخر دقيقاً نفسياً، و هو أنه لا يمس العقائد الأساسية التى يعتقده الشباب المسلم الذى يريد اقتناصه ، بل يفحص عن أفكاره الدينية ما هى أضعفها رسوخا فى قلبه ثم يهجم على هذه الفكرة و يوسوس فى صدره ، فيلقيه فى الشك و الارتياب فى هذه المسألة ، و

إذا دخل الشيطان فى قلبه مرة و وجد طريقاً إلى روحه صار الدخول له مرة أخرى أسهل ، و من أصول علم النفس أن من وقع فى الشك فى عقيدة ، فالشك له فى عقائد أخرى سهل ، إذا كان المرء غير عالم لا يعرف مراتب العقائد و لا يفهم الدلائل و الأسس لها ، فيهيئون تربة أفكاره لزرع شجرة الالحاد الخبيثة ، مثاله ما يفعله القاديانيون فانهم لا يدعون الجهلة عن الدين من أهل السنة و الجماعة أولا إلى تصديق الكذاب القادياني ، بل يدافعون عنهم و يجادلون حول مسألة حياة عيسى عليه الصلاة والسلام ، وما ذلك إلا أن أكثر العامة غافلون عن دلائل هذه العقيدة ، بل كثير منهم لا يعرف المسألة برأسها ، ثم لما أوقعوه فى الشك فى هذه المسئلة تقدموا بخطوة أخرى إلى زعزعة عقيدته فى ختم النبوة ، و إذا بلغ الرجل إلى هذه المرحلة ، لا يبقى بينه و بين تصديق الكذاب القادياني إلا مسافة يسيرة .

لا يسع لنا أن نفصل ههنا هذا البحث و نزيح الستار عن مكائد هذه الفرق الباطلة الضالة بتفصيل، لأن ذلك يطلب مبحثاً طويلا ، وإن مكائدهم كثيرة لا تحصى .

و الشباب المسلمون الذين يقعون فريسة هذه الفرق الباطلة ، قد يكون مآلهم الالحاد و الخروج عن الاسلام ، و الاعتداء عليه ، و هذا كثير ، وقد يؤول أمرهم إلى الخروج عن الاسلام أو عن ملة أهل السنة و الجماعة ، و الدخول فى الفرقة الباطلة الضالة التى دعتهم إلى هذا الضلال ، و المآلان متحدان فى الضلال، وإن كانا يختلفان فى بعض الجوانب و الأحوال .

السابع : « إن الدين عند الله الاسلام » و إن ديننا هو الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، فهو مناقض للاديان الباطلة الموجودة كلها لأنه لا يبقى بعد الحق إلا الباطل، و لا بعد الهوى إلا الضلال ، فن الطبيعى ما نرى أن أهل الاديان كلهم أصبحوا أعداء للاسلام، ومعاداتهم للاسلام أشد من معاداتهم فيما بينهم مع وجود الخلاف و التعارض فى العقائد و الأعمال فيهم ، و ما ذلك إلا لأنه لا نسبة بين الحق و الباطل مع وجودها بين باطل و باطل ، لأنهما من جنس واحد و لأن الحق واحد لا كثرة فيه و الباطل يقبل الكثرة و يتوسع .

و هذه المعاداة تظهر فى صور كثيرة، منها سعى إضلال أهل الحق وإدحاضهم عن جادتهم المستقيمة بالمكائد و الخدع و الأضاليل، ولاشك أن اليهود لهم يد طولى فى فن الاضلال و الاكتياد ضد الاسلام ، و يتبعهم النصارى ، لأن النصرانية الحاضرة هى نوع من اليهودية تفرعت منها ، فالمسيحيون هم الضالون الذين أضلتهم اليهود المغضوب عليهم فاقتفوا آثار اليهود طبعاً .

وقدأخبر الله سبحانه ، المسلمين بهذا الخطر العظيم إذ قال : ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ، و هذه الطائفة هى اليهود ، أومن فى معناهم أى المسيحيين الحاضرين ، فكثير من اليهود و النصارى يبذلون جهدهم لاضلال المسلمين بمكائدهم الخبيثة وخديعتهم الدقيقة ، والشيوعيون أيضاً يسلكون مسلكهم و يجهدون كل الجهد لادحاض المؤمنين عن الصراط المستقيم ، و استمالتهم عن الدين القويم إلى اللادينية الممقوتة.

و من ينظر إلى سعى هذه الأحزاب لاضلال الشباب المسلمين يفهم من جهدهم وعنائهم وراء هذا الهدف الخبيث أنهم جعلوا إدخال المسلمين فى جحيم الالحاد غاية حياتهم ، قاتلهم الله و وقانا شرورهم .

إن هؤلاء الأحزاب ربما يظهرون فى زى المستشرقين و يحققون الموضوعات الاسلامية و يؤلفون فيها بزعمهم ، فيدخلون عن طريقها جراثيم الالحاد فى أذهان الشباب المسلمين ، و لهم مكائد دقيقة وشبهات خفية يصيدون بها الجهلة من الشبان المسلمين، وها نحن نشير إلى مكائدهم وأضاليلهم فى السطور القادمة .

(١) يكتبون مقالة أو كتاباً فى سيرة النبى ﷺ ثم يتدرجون بعد قليل إلى أهوائهم فيفترون عليه كذباً و يمزجون هذا السم بالعسل مزجاً يسيغه الجاهل عن سيرته ﷺ فيموت قلبه لوقوع الشك فى النبوة أو لنقص القداسة الواجبة له ﷺ

تذكرت حادثة تصلح للمثال و تعين على فهم هذا الكيد ، قرأت مقالة على السيرة لأحد المستشرقين مدح فيها النبى ﷺ مدحا كثيراً، ثم أفرغ ما فى قلبه من سم عند نهاية الكتاب فكتب هذا الخبيث أن محمداً ﷺ كان صادقا و لكنه لم يدع النبوة و الوحى بل أتباعه نسبوا إليه هذه الدعوى ، و كان مصاباً بالصرع الذى قد يكشف له بعض أشياء الملكوت ، و هذا ليس بوحى (و أعوذ بالله من هذه المقالة الخبيثة)

و على هذا المنوال يكتبون المقالات حول حياة الصحابة و بنفس الطريق المذكورة آنفاً ، و يجهدون كل الجهد بقطع الصلة بين الصحابة و سائر الأمة ، ولمحو حب الصحابه و عظمتهم عن قلوب المسلمين .

(٢) ربما يفرح المسلمون إذا وجدوا أن مستشرقا صار محامياً للاسلام يدافع عنه ، و يرد على إيرادات أوردت عليه من قبل أعداء الاسلام ، لكن النظر الدقيق يكشف الستر عن هذه الحقيقة ، بأن هذا المحامى لم يرد الدفاع بل إنما أراد أن يقوى الايرادات بأجوبة ضعيفة، و يبذر بذور الوسوسة و الشك فى قلب القارىء الجاهل عن دينه ، لأن الرد الضعيف والجواب السقيم ينبئ أن الايراد ليس له جواب شاف، و ذا يدحض القارىء الشاب الذى لا يعرف الحقيقة و لا يعرف ضعف الايراد و جوابه الشافى عن اليقين إلى الارتياب ، و قد أشار العليم الحكيم إلى هذين الكيدين الخفيين فى كتابه المبين حيث قال « و قالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار و اكفروا آخره لعلهم يرجعون »

(٣) إن الله قد جعل الاسلام آخر دينه و حفظ كتابه عن التحريف و التبديل ، ولكن الذين أوتوا الكتاب من قبل ضيعوا أمانتهم و حرقوا كتبهم و نبذوه وراء ظهورهم ، حتى ضاعت وفقدت ، فلا تجد نسخة للتوراة أو الانجيل يعتمد عليها ، و الاختلاف بين نسخهما كثير جداً، حتى لا يجد القارىء نسختين مطابقتين .

وأولئك المحرفون لدينهم المضيعون لكتابهم ، الماحون لسنن أنبيائهم حسدونا ، لأن كتابنا الناطق بالحق أعنى القرآن الكريم محفوظ من كل كيد أو تحريف .

فهـذه الأمم الحاقدة ، اليهود والنصارى ، الذين كانوا متعودين التحريف و التبديل فى الدين . و ماهرين فى هذا الفن الخبيث ، المجرمين

فيه ، يحاولون تحريف الاسلام أيضاً كما حرفوا دينهم .

من البديهى أنه ليس لأحد قدرة ولاطاقة على تحريف القرآن الحكيم و التصرف فى ألفاظه لكثرة حفظته و حامليه ، و لكون نقله بالتواتر بالألسنة و الأقلام ، و لكونه محفوظاً فى الصدور .

و المحدثون المتقدمون أعلى الله مدارجهم بالغوا فى حفظ السنة و الأحاديث و استحفظوها و جمعوها ، و ميزوا صحيحها عن سقيمها حتى أصبحت محفوظة عن التحريف ، و التبديل ، و قصر باع الأعداء عن الوصول إليها و التحريف فى ألفاظها .

فلما استيئست الطائفة المذكورة عن التحريف فى القرآن الحكيم و الأحاديث توجهت إلى التحريف المعنوى، أى انهم يسعون سعياً بليغاً لتفسير الكتاب بغير ما أراد الله تعالى به ، و بتشريح الحديث بغير ما أراد الرسول ﷺ به ، و لقد خابوا و خسروا من هذه الناحية أيضاً ، لأن المفسرين و الفقهاء والمحدثين قد أدوا واجبهم نحو التفسير والتشريح وضعوا له مبادىء ، و حفظوها حتى لم يبق فيه مدخل لجاهل غوى ، و لذلك ترى أن الأمة من حيث المجموع لاتقبل تفسيراً للقرآن أو شرحا للحديث يعارض بيان المتقدمين من الصحابة و التابعين و من تبعهم من المهتدين ، و المقبولين من علماء الدين .

لكن الطائفة المذكورة الخبيثة ما استيئست من الوصول إلى هدفه الخبيث ، و لم تأل جهداً لهذا المرام و لا تزال تجتهد له ، لأنها نجحت باضلال بعض الجهلة من شبان المسلمين و إغوائهم لضعف إيمانهم و قلة اطلاعهم على التفاسير و الشروح الصحيحة ، و سوء فهمهم فى أمور

الدين ، ونسمع كثيراً أن فلانا من المستشرقين فسر بعض سور القرآن و فلانا علق على الأحاديث حتى إن بعضهم اجترأ على تلخيص القرآن الحكيم ، وكل ذلك خدع و كيد لتحريف الدين و إضلال المؤمنين ، و شبكات لاصطياد الشبان المسلمين ، بعد ما خاب جهدهم فى التحريف ، و لكنهم يصطادون بعض شبابنا الجاهلين عن الدين فيوردونهم مورد الالحاد و الزيغ فيهلكونهم .

و هناك معاهد و لجان عديدة لليهود و المسيحيين تنشر كتباً و مقالات حول موضوعات إسلامية ، و هى تهدف إلى خدمة الاسلام وإزالة الظنون السيئة الواقعة فى قلوب غير المسلمين المتعلقة بتعاليم الاسلام وتفسير الاسلام فى ضوء العلم و العقل ، لكن صنيعهم و أعمالهم تدل دلالة و ضحى من الشمس فى نصف النهار أن هدفهم الواحد هو تحريف تعاليم الاسلام ، و إضلال أهله وإيقاعهم فى فتنة الالحاد ، وقد كشفت الجرائد السر عن معهد كبير من هذا النوع فى أمريكا ، أسسه المسيحيون و يشرف عليه بعض اليهود ، و أكثر هذه اللجان و المعاهد تدار بأيدى المسيحيين و هم كاليهود كما بينا من قبل ، و لكن أكثر هذه المجامع و اللجان تديرها اليهود عن وراء الستر .

إن النفاق من دأب اليهود ، و التاريخ يذكر لنا ابن سبا وأتباعه الذين كانوا هوداً ثم أظهروا الاسلام نفاقا وأثاروا فتناً عظيمة ، وكذلك فى هذا الزمان تتبع الطائفة المغضوبة عليهم سنن أوائلهم فهناك أفراد من هذه الطائفة يظهرون فى زى المسلمين ليضلوا الأمة المهدية عن السبيل ، فيجهرون باسلامهم و حبهم له بأعلى صوت ، و يتخذون دعواهم جنة

لهم ، و لكن و الله هذا كيد عظيم ، أعاذنا الله منه ، وكذلك بعضهم يستخدم بعض المسلمين الذين فى قلوبهم مرض ، و الذين هم يحبون متاع الدنيا حباً جما و يشترون الأولى بالآخرة ، فاليهود يسترون عقب أدبارهم و يجعلونهم ستراً لريبهم على المسلمين ، و اشتد هذا النوع من خداعهم فى « باكستان » و « الهند » خاصة ، فحركة القاديانية ، وفتنة انكار الحديث ، و معاهد الثقافة كل ذلك نوع من هذه الفتن (معظمها فى باكستان) و لقد كان فى الهند رجل ضال ، يدعى الأسلام و هو ملحد ينشئ مجلة شهرية باسم « نكار » ثم هاجر إلى كراتشى منذ مدة قاتله الله و أعاذ المسلمين من شره ، كما أن هناك رجالا و معاهد فى « مصر » و الشام أيضاً تقوم بنشر الالحاد و الزيغ فى الناس أعاذ الله المسلمين من شرورهم .

و قد نبه الله سبحانه وتعالى المسلمين على كيد أعدائهم هذا بقوله عز اسمه « و يقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول : و الله يكتب ما يبيتون ، فأعرض عنهم و توكل على الله » (النساء) .

و كذلك قال : « و منكم سماعون لهم » و قال تعالى « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك رسول الله و الله يشهد إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ، إتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون» (المنافقون) .

(د) إن أوربا وأمريكا مثقفتان بثقافة فاتنة مزينة فى أعين الناس مبنية على علوم أهلها وعقائدهم ، وهم يزينون هذه الثقافة لنا كما زينها لهم

الشيطان، فلايألون جهداً فى تزيينها لشبابنا إلى أن تحقر فى أعينهم الثقافة الاسلامية التى فارقت المسلمين منذ سنين إلا قليلا منهم ، فاذا صغروا الثقافة الاسلامية يهيؤن النفس لقبول الارتداد و الالحاد فى الفكرة و العقيدة ، فايثار الثقافة الأوربية و الأمريكية على الثقافة الاسلامية أول خطوة إلى الالحاد ، بل هذا نفسه نوع مـــنه ، و تعينهم على ذلك ما فعلته أيدينا بالثقافة الاسلامية من هجرها و الاعراض عنها منذ قرون ، و هذه الشبكة هى أقوى الشبكات و أخفها لاصطياد المسلمين ، لا سيما الشبان منهم ، و قد حذرنا الله تعالى من هذا الكيد العظيم فى كتـابه الحكيم بقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من أهل الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » .

فان لفظ الطاعـــة ليستعمل فى الاتباع فى الحيرة العملية ، فبين الله سبحانه وتعالى إنكم إن أطعتم فريقاً من أهل الكتاب أى اليهود والنصارى تودى هذه الأطاعة إلى الردة و الكفر ، و لا شك أن الاتباع فى الثقافة و الاجتماع و الأخلاق هو الطاعة العملية، فلاجرم أنها تؤدى إلى الالحاد و الزندقة .

يتبع

الحركة السنوسية (٣)

رمز و أمل و كفاح

الأستاذ حبيب ريحان الندوى

و جاءت الحرب العالمية الأولى بأوزارها و ما سببت للاسلام من خسارة فادحة، وأصبح السيد أحمد شريف أمام الأمر الواقع بعد مهاجمة المراكز البريطانية من قبل القادة العثمانيين مضطراً فى دخول الحرب ضد الانجليز و انتهت تلك الحركة بالفشل .

ادريس السنوسى : و كان السيد ادريس السنوسى إذ ذاك وكيلا عاما عن السيد أحمد فى برقة، ثم سافر السيد أحمد إلى تركيا و تلقت الأمة أوامر من السيد أحمد أنه تخلى عن السلطة إلى صاحب الأمر السيد ادريس ، فبايعوه أميراً بدلا من أن يكون نائباً عن الخليفة واتخذ الأمير اجدابيا عاصمة لامارته .

معاهده عكرمة : و استمرت المفاوضات بين سمو الأمير و الوفد الايطالى بحضور الوفد الانجليزى على اتفاق مبدئى و فى سنة ١٩١٧ م وقعت معاهدة عكرمة و أهم بنودها .

١ ـ تنتهى الحرب بين السنوسيين و الطليان و ينادى بالسلام .

٢ ـ يعترف الايطاليون باستقلال السنوسيين داخل برقة .

٣ ـ يبقى الايطاليون بالسواحل و يحتفظون بما فى أيديهم من الأراضى .

٤ ـ تحدد الحدود بين أراضى الفريقين .

٥ ـ تفتح الطرق و تعود البلاد إلى حالة السلام ويكون الخروج و الدخول بتصاريح .

٦ ـ يعترف الايطاليون بالسيد ادريس أميراً على برقة .

اتفاقية الرجمة : ثم عدلت معاهدة عكرمة باتفاقية الرجمة سنة ١٩٣٩ و من بعض موادها أن يكون بمعسكرات برقة السنوسية قسم من الجيش الايطالى كل ٨٠ من الجيش السنوسى يقابلهم مائة من الجيش الايطالى و لكل من الجيشيين رئيس أعلى، أحد الرئيسين سنوسى و الآخر ايطالى هذا بعد أن طالبت ايطاليا بالحاح أن تحل المعسكرات السنوسية بتاتاً .

و وجه سمو الأمير جهوده لتسوية المشاكل القائمة بين قبائل برقة وطرابلس، ووافق زعماء طرابلس على مبايعة من الأمير ادريس .

و لما جاء الفاشست على الحكم (اكتوبر ١٩٢٢) فى ايطاليا فبدأت تبحث عن جواز إبطال المعاهدة السنوسية الايطالية .

و كان الأمير يعرف الاتجاه الجديد فى السياسة الأيطالية فأصدر التوجيهات الجديدة فأعطى قيادة الجبل للسيد عمر مختار و أسند طرابلس إلى السيد صفى الدين السنوسى مع لقب نائب الأمير .

و قرر الأطباء علاج الأمير و كان مريضاً فى مصر فارادت ايطاليا أن يكون العلاج فى روما و لكن الأمير سافر إلى مصر .

هجوم ايطاليا المباغت : و فى ٦ مارس سنة ١٩٢٣ وبدون سابق

انذار، هجم الايطاليون على جميع المعسكرات و فى يوم أول مايو أعلن حاكم المستعمرة الجديد الجرنال بونجيوفال أن جميع الاتفاقات التى عقدتها الحكومة مع السنوسيين هى باطلة و ملغاة و أبلغوا الامير ذلك رسمياً فى القاهرة .

جهود السنوسيين : و من أشهر المعارك التى وقعت مثلا أعظم هجوم جوى على المعسكرات السنوية فاخليت اجدابية و احتلها العدو .

و موقعة بئر بلال حيث انجلت المعركة عن خسارة الحملة الايطالية باجمعها وموقعة البريق فلم ينجح فيها أيضاً من الجيش العرمرم الايطالى إلا شرذمة قليلة

و هذه المعارك كلها أظهرت شجاعة السنوسيين و إيمانهم بالمبدأ و شوقهم للجهاد يقول : « المسيو دريمون مراسل الصحيفة » إنه لم يجد قوما عندهم شغف بالقتال و استخفاف بالموت كهولاء، وإذا سمع هولاء نداء الحرب قامت قيامتهم وتدفقوا كالسيل من الجبل، فالحرب عندهم لذة لا تتصورها عقولنا .

أجل لاتستطيع عقولكم المادية البحتة أن تصور، لأن قتلاكم فى النار و قتلانا فى الجنة .

و احتلت ايطاليا الجغبوب سنة ١٩٢٦ و هذا عدوان صريح حتى على العواطف الروحية للامة الاسلامية .

فرق تسد : و من المخازى التى عملتها ايطاليا فى كثير من الأحيان بث الشقاق و الاختلاف بين بعض القبائل فارادت صلحاً منفرداً مع بعضها ، و لكنها أبت وقالت « إن شاء الطليان أن يتفاهم معنا بخلوص

نية و حسن طوية فلهم أن يتصلوا بسمو أمير البلاد بالقاهرة أو يراسلو سيادة ولى العهد الوكيل العام .

اغراء الشيخ عمر المختار : ثم التقى الوفد الايطالى مع السيد عمر المختار و قطعوا له المواعيد الخلابة بأن يحتفظ بشخصيته و بمركزه و يخصص له راتباً مقداره ٥٠٠ جنيه ، فكان جوابه و هو منفعل تماما « إنى ما اجتمعت مع الوفد الايطالى لأسمع هذه المهازل »

ثم جاء مارشل بادوليو حاكماً بطرابلس و عين الجنرال غرسيانى نائباً عنه فى سنة ١٩٣٠ ثم بدأ عصر الارهاب الأكبر بالقتل و النفى و السجن و مصادرة الأموال .

مأساة الكفرة : واحتل الايطاليون الكفرة بجيش كبير و بمعاونة عشرين طائرة بعد قتال عنيف مرير و قتلوا بعض الأعيان و أباحوا المدينة أسبوعا للجند، و لم تراع أية حرمة و كان عهد نبرون قد رجع و كانت مأساة الكفرة من أعظم المآسى و أفظعها يسجلها التاريخ لايطاليا المتمدنة كما سجلها التاريخ لأسبانيا الأوربية فى القرون الوسطى .

و بعد احتلال الكفرة مدت الحكومة الايطالية سنة ١٩٣١ م الاسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية .

القبض على عمر المختار : ثم قبض على السيد عمر المختار بطريق خيانة بعض الناس - و هؤلاء موجودون فى كل زمان و مكان - ففرح الطليان بهذا الخبر فرحا عظيما و بدأوا فى محاكمته يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٣١ وفى المحاكمة قال الكولونيل بوندو محامى عمر المختار« إننى كجندى لا أتردد البتة إذا وقعت عيناى على عمر المختار فى ميدان القتال فى إطلاق

الرصاص عليه وقتله ، وقدكلفت الدفاع عنه فانى أطلب حكما هو فى نظرى أشد هولا من الأعدام نفسه ، وأقصد بذلك الحكم عليه بالسجن مدى الحياة نظراً لكبره و شيخوخته .

قرار الاعدام شنقا : ولكن المحكمة أصدرت قرار الاعدام شنقا و تلقى الشيخ الوقور هذا الخبر بالشجاعة و الثبات حيث قال « الحكم لله وحده » و كان مرتاح الضمير .

و نفذ حكم الاعدام يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣١ و فارقت روحه جسده معلنة للاجيال درساً فى البطولة فى ميدان الوغى و الشجاعة فى ساحة المحكمة، ولما صعد على المشنقة كان يؤذن أذان الصلاة و قبل الاعدام يتلو هذه الآية الكريمة « يا أيتها النفس المطمئنة . . ألخ »

و جرأة السيد عمر المختار و شجاعته أثناء المحكمة يذكرنى بجرأة المرحوم مولانا محمد على جوهر مؤسس جمعية الخلافة الاسلامية فى الهند حين استجوابه فى المحكمة الانجليزية فى الهند .

يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ م : و بزغ للوجود يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ المشرق الوضاء يحمل بين طياته اعلانا للاستقلال التام للبلاد مفسراً قوله تعالى « و لينصرن الله من ينصره » (الحج ٤٠) و بعد الاستقلال تقدمت ليبيا فى كل من النواحى الاجتماعية و الاقتصادية و العلمية بفضل حكومتها الرشيدة و إخلاص عاهلها العظيم ما يبشر بخير فى المستقبل .

اقتصادنا في ضوء الإسلام

ويركز الاسلام جهوده فى الاشتغلال بالتعامل الاقتصادى ، ويلح على كون ذلك ركناً عظيما من أركان الحياة ، وتبدو أهمية هذه الناحية من حديث ترويه عائشة رضى الله عنهـا عن النبى ﷺ :

أنظر ص ٥٨

- أهمية الاقتصاد فى ضوء السنة
- توزيع الثروة فى النظام الاقتصادى

أهمية الاقتصاد فى ضوء السنة

فضيلة الشيخ مناظر أحسن الكيلانى
(معرب)

تزخر السنة بما يبدى أهمية الاقتصاد فى الحياة الانسانية ، والحقيقة التى لاشك فيها أن عدداً ممن يمثلون الدين بوجه ناقص قد فصلوا الدين عن الدنيا فى جميع أمورها ، و رأوا أن الدين لن يجتمع مع الدنيا فى شئ ، حتى فشا فى طبقة من الناس ظن خاطئ ، و هو أن ديناً نجح فى إثارة المقت والكراهية فى نفوس أتباعه نحو الدنيا إنما هو أفضل الأديان و أحق أن يتبع .

و لكن الحقيقة بالعكس من ذلك ، فان خاتم الأنبياء محمداً ﷺ الذى جاء بدين خالد ، و دعوة باقية نامـية ، و رسالة شاملة ، ونظام كامل ، و الذى أكمل الله سبحانه و تعالى دينـه المرتضى على يده ، هو نفسه يبتهل إلى ربه و يدعوه رافعاً يديه لرفاهية أمته ، و رخاء عيشها ، و يقول : « أللهم إنهم حفاة فاحملهم ، أللهم إنهم عراة فاكسهم ، أللهم إنهم جياع فاشبعهم »

« عن المنذر بن جرير عن أبيه قال كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار ، قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء ، متقلدى

السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا فاذن وأقام فصلى بهم ثم خطب فقال : « أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، إلى ، إن الله كان عليكم رقيباً ، و الآية التى فى الحشر ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و لتنظر نفس ما قدمت لغد » تصدق رجل من ديناره من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ، قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام و ثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة » (صحيح مسلم) .

تهلل وجه الرسول الكريم لمجرد ما بذل جهده فى مساعدة الفقراء و أسهم فى ذهاب بؤسهم وفاقتهم ، و بذلك نستطيع أن نقدر مدى أهمية هذا الجانب الحيوى فى الحياة الانسانية ، الذى يعتقده الناس مما لا يتصل بالدين ، فما أرهف شعور النبى عليه الصلاة و السلام نحو هذا الجانب المغمور المطمور لدى الغلاة من المتدينين .

و لم يكتف النبى ﷺ بحمل الناس على مساعدة الفقراء و إنما كان يطلب من الفقراء أن يدفعوا عنهم الأذى بما منحهم الله من قوة الساعد بأن يشتغلوا فى مهنة ، أو عمل يتيسر لهم ، و فى الحديث قصة معروفة يعرفها الجميع ، فقد روى أن رجلا من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ و سأله شيئاً يدفع به أذى الفقر ، فلم يعطه النبى ﷺ شيئاً من عنده و لا حمل الناس على مساعدته ، و إنما سأله هل عندك شئ ؟ و بما أن الرجل كان فقيراً لا يملك غير حلس و قعب ، قال بلى حلس نلبس

بعضه و نبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء ، فلما سمع النبى ﷺ هذا الجواب لم يضطرب ولم يرث له أمامه ، و قال اذهب و آت بهما ، فذهب الرجل وأتى بهما ، فأخذهما النبى عليه الصلاة و السلام وقال من يشترى هذين ؟ أنا أخذهما بدرهم ، سمع صوت فى ناحية من القوم ، و انطلق اللسان النبوى مرة أخرى و قال : من يزيد على درهم ؟ وارتفع صوت آخر ، أنا آخذهما بدرهمين ، وعقد البيع ، و سلم المبيع للمشترى ، وكان بيد النبى ﷺ درهمان أعطاهما الأنصارى (الفقير) و قال اشتر بهذا طعاما فانبذ إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به ، ففعل الأنصارى و حضر بالقدوم إلى النبى ﷺ فشد عوداً بيده ، وقال اذهب فاحتطب و بع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما ، فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاءه و قد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً و بعضها طعاما ، فقال رسول الله ﷺ : هذا خير لك من أن تجيئ المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة .

هذه هى الأسوة النبوية فى تنبيه قوى الناس إلى طلب المعاش ، وهى وحدها التى تلقى ضوءاً لامعا على أهمية الاقتصاد و طلب المعاش ، و إن الجملة الأخيرة التى نصح بها النبى عليه الصلاة و السلام للانصارى إنما هى باب مستقل فى نظام الاسلام الاقتصادى ، و هو يتلخص فى أن الاسلام لايشجع السؤال و الاستجداء ، و هو دائماً يوجه الانسان إلى استخدام قواه فيما يتمكن به من سد ضرورات المعاش ومطالب الحياة .

إن الله تعالى عندما رفع فرضية صلاة الليل التى ذكرها فى سورة المزمل أشار إلى علة ذلك فقال « علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون

يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله » يعنى إذا فرضت صلاة الليل على المسلمين جميعاً فسوف يحرم عدد من الناس ابتغاء فضل الله وطلب معاشهم ، و معناه أن الاسلام لا يرضى صلاة الليل مع الاعراض عن طلب الرزق و السعى للعاش .

و جاء عمر رضى الله عنه ذلك الخليفة الكبير يوما إلى المسجد فرأى أن رجلا يقول ، من يساعدنى فى إعداد العدة للجهاد ؟ و ما أن سمع عمر رضى الله عنه هذا السؤال إذ تقدم إلى الرجل وأخذ بيده و قال للجماعة « من يستأجره منى لعمل أرضه » فقال رجل أنا، وهنالك بعدما اتفق معه على أجرته أعطاه للرجل ، فذهب به و دله على عمله فى نخلة له ، و تمضى مدة و لكن عمر رضى الله عنه لا ينسى قصته، وذات يوم بينما هو فى المسجد إذ يسأل الرجل عن شأن الأجير ، فأجاب أنه فى أحسن حال ، و قد جمع له مالا كبيراً من راتبه الذى يتقاضى، فطلبه عمر رضى الله عنه بجميع ماله الذى اكتسبه و إذا هو يحضر بماله فى المسجد ، فلما مثل بين يديه أشار إلى كيسة ماله و قال : خذ هذه فان شئت فالآن اغز ، و إن شئت فاجلس .

ويركز الاسلام جهوده فى الاشتغال بالتعامل الاقتصادى ، و يلح على كون ذلك ركناً عظيما من أركان الحياة ، و تبدو أهمية هذه الناحية من حديث ترويه عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال : إن قامت الساعة و فى يد أحدكم فسيلة ، فان استطاع أن لايقوم حتى يغرسها فيغرسها » (كنز العمال) .

و إن زراعة الأرض مما يفرضه القرآن على أتباعه ، كما يقول

الامام أبو بكر الجصاص ، فى تفسير آية القرآن التى تخاطب كل إنسان « هو الذى أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها » يقول الامام أبوبكر الجصاص : « وفيه الدلالة على وجوب العمارة للزراعة والغراس والأبنية»

و على هذا فان فى الآية دليلا على عمارة الأرض بالزراعة ، أو الغراس ، أو الأبنية ، كأن هذا العمل أيضاً يشبه الفرائض الأخرى من الصلاة و الزكاة و الحج ، و لا أعتقد أن العارف بأساليب اللغة العربية يرى فى هذا الاستدلال ضعفاً ، و خاصة عندما نقرأ ، أحاديث النبى ﷺ التى تبشر بأجر الآخرة لمن عمرها ، سواء استفاد منها هو نفسه أم انتفع بها خلق آخر غيره ، فقد قال النبى ﷺ : « ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كانت له صدقة » (رواه البخارى) .

فان السبب معلوم ، لأن الزارع أو الغارس و إن لم ينتفعا بأرضهما ولكنهما أديا الواجب الذى كان يعود عليهما ، و من أدى واجب الله فقد استحق الأجر ، و الحديث يشير إلى أن الزارع والغارس استخدما قوتهما فى إخراج ما لم يكن موجوداً من الحبوب و الثمرات باذن الله ، و مكناها من التحلى بلباس الزينة و الجمال، فاذا لم ينتفع بها الناس فكفى له أجراً وثواباً عند الله أن يستفيد منها خلق آخر من الطيور والبهائم .

و نظراً إلى ما انتشر فى الجمهور من أن الدين يمنع الاشتغال بأمور الكسب و الاقتصاد ، و يعده ضد الدين ، سوف لا نعتقد أن الاسلام يرحب بهذا الاشتغال بالكسب وطلب المعاش ، ولكنه بالرغم من ذلك يعد اشتغال الانسان بمعاشه و طلب رزقه عبادة كعبادة الصلاة

و الصيام ، و يحذ هذه النزعة فيه .

فشتان بين النظرتين ، نظرة التقشف والزهد عن المعاش والاقتصاد فى الدين ، و نظرة الاشتغال بالمعاش و كونه جزءاً من الدين ، إن الاسلام يحارب النظرة الأولى و يعدها نزعة تضاد الفطرة الانسانية . و قدنشأت فى الاسلام طائفة من العلماء والفقهاء الذين احتفظوا الشريعة من كل نظرية خاطئة و خدموا الدين بجهودهم و جهادهم ، كما نشأت فيهم طبقة دعيت بالعارفين ، اولئك الذين اتصلوا بالله ، و حرموا الأكل بالباطل ، و بهذه المناسبة أذكر الشيخ أبا المكارم علاء الدولة السمنانى الذى تزعم طبقة من الشيوخ و العارفين ، و قد أورد الشيخ جامى فى كتابه « نفحات الانس » نظرية الشيخ السمنانى حول الاقتصاد فقال :

« إن الله تعالى لم يخلق هذه الأرض و المزارع إلا لحكمة ، و هو يطلب عمارتها لينتفع بها الخلق ، و لو علم الناس ما فى عمارة الأرض من أجر لما تركوا عمارتها فى أى حال ، ولو علموا ما فى تركها و تعطيلها من ذنب لما فعلوا ذلك أبداً .

ثم يشرح هذه النظرة بضرب المثال و يقول :

إذا كانت عند رجل قطعة أرض يستطيع أن يحصل بها من الحبوب ما يربو على ألف من و لكنه تغافل عن تربية الأرض و إصلاحها فلم تنبت من الحبوب إلا تسع مأة من، فلا شك أنه سيواخذ على تقصيره فى استخدام الوسائل التى تساعده فى استخراج الحاصلات الكثيرة و يستعاد منه ذلك المقدار الناقص يوم القيامة »

إنه ليس من كلام الجاهلين أو ممن ليس لهم معرفة بالدين و إنما

هو كلام لزعيم الشيوخ وإمام العلماء فى عصره، أنظروا كيف يؤكد فيه معنى عمارة الأرض و زرعها ، و يحث على الاشتغال بها ، وكيف يوجه الوعيد إلى فلاح قصر فى هذا العمل و تغافل عنه ، و ينذره بالحساب فى الآخرة ؟ !

و لا نزال نرى و نجرب المسلمين الذين يملكون مزارع ومغارس لا يبذلون فيها جهودهم لتنمية الحاصلات ، و تربية الأرض بما يتضاعف به إنتاجها ، و على العكس من ذلك فقد نرى الأمم الأخرى التى لا تتمتع بنعمة الاسلام أنها باذلة جهودها فى هذه الناحية من طريق استخدام الوسائل الجديدة ، و الآلات الحديثة .

و هناك طائفة من الناس ترى الاشتغال بمثل هذه الأمور التى تتصل بالمعاش و الاقتصاد ضد الدين ، و تعده مما ينافى تعاليم الاسلام، وترى أن الزهد فى كل شئ إنما هو أصل الدين وروحه ، بينما الاسلام برئ من هذه النظرة الخاطئة ، بل و هو دين يشمل جميع نواحى الحياة و يجمع بين الدين و الدنيا على السواء ، ويحث أتباعه على كل ما يقوى معنويته و يعده لحمل عبء الحياة .

ألا ترى كيف وجه هذا العارف وعيدا إلى الكسالى من الفلاحين الذين يتقصون إنتاج الأرض، ولا يبذلون جهودهم فى الاستمثار من نعم الله ، و الاكتساب من فضله .

توزيع الثروة فى النظام الاقتصادى

الأستاذ ياقوت العشماوى

يتكون دخل مجتمع ما فى سنة ما من مجموع السلع و الخدمات المنتجة فى تلك السنة ، و لابد من أن يحصل كل من ساهم فى تكوين هذا الدخل على نصيبه عما ساهم به فى دخل المجتمع ، ويسمى ذلك توزيع الثروة أو الدخل ، وتعتبر مشكلة توزيع الثروة بين الناس من أهم مشاكل المجتمع و أخطرها فى العصر الحديث ، لما يترتب عليها من انقسام المجتمع إلى فريق الأغنياء و فريق الفقراء ، و يستطيع الأغنياء بما فى أيديهم من ثروة أن يكونوا أصحاب النفوذ و السلطان فى المجتمع ، و هو ما يسمى فى الاصطلاح الحديث « سيطرة رأس المال على الحكم » لذلك اختلفت الأنظمة الاقتصادية اختلافا أساسياً فى الحلول التى وضعتها لحل مشكلة التوزيع ، ويرجع اختلاف تلك الحلول إلى اختلاف الأساس العلمى الذى ترتكز عليه ، ذلك الأساس الذى تحدده فى علم الاقتصاد (نظرية القيمة) .

إن عناصر الانتاج فى أى مجتمع سواء كان مجتمعاً رأسمالياً أم اشتراكياً أم شيوعياً ، هى العمل و رأس المال ، و لابد من توزيع الثروة على هذين العاملين و أداء ما يخص كلا منهما من

أثمان عناصر الانتاج ، و فى المجتمع الرأسمالى الذى يمتلك فيه المنتج وسائل الانتاج قد لا يكون لدى المنتج منذ البداية المال اللازم لشراء وسائل الانتاج ، فيضطر إلى الاقتراض بفائدة ، و قد يضطر إلى استعمال أدوات الانتاج المملوكة للغير عن طريق استئجارها ، ولذلك يكون توزيع أثمان عناصر الانتاج فى المجتمع الرأسمالى على الوجه الآتى :

العامل يحصل على أجر مقابل عمله ، و المقرض يحصل على فائدة مقابل نقوده التى أقرضها للمنتج ، والمالك يحصل على ايجار مقابل أدوات الانتاج التى استأجرها منه المنتج يحصل على ربح مقابل المشروع الانتاجى الذى قام به .

و نتكلم فيما يلى عن الأشكال المختلفة التى يتم بها توزيع الثروة و هى الأجر ، و الفائدة ، و الايجار ، و الربح :

الفرع الأول

الأجر : أقر الله تعالى الأجر باعتباره وسيلة من وسائل توزيع الثروة فقال تعالى فى سورة (القصص) : « قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا » و قد استعمل القرآن الكريم عبارة (الأجر) فى مواضع كثيرة بمعنى الجزاء الحسن فى الآخرة ، كما استعمله فى مواضع أخرى بمعنى المهر ، أما فى هذه الآية فانه استعمله بالمعنى الاقتصادى لكلمة الأجر .

الفرع الثانى

الفائدة : ينقسم رأس المال إلى رأس مال حر أو نقدى ، وهو النقود ، لأن بها يمكن شراء موارد الطبيعة و المنتجات ، و رأس مال

حقيق أو عينى و هو موارد الطبيعة و المنتجات ، و فى نظام الرأسمالى من يقترض نقوداً للقيام بمشروع إنتاجى يدفع لصاحبها ثمناً هو الفائدة .

و يبرر الاقتصاديون مشروعية الفائدة ، بأن صاحب النقود يمكنه بدلا من إقراضها أن ينفقها فى إشباع حاجاته الحاضرة التى هى أشد إلحاحا عليه من حاجاته المستقبلة ، و لكنه يضحى بحاجاته الحاضرة و يفضل الانتظار ، و بذلك يتكون رأس المال نتيجة لهذا الانتظار و لابد لهذه التضحية أو لهذا الانتظار من ثمن و هذا الثمن هو الفائدة ، فالفائدة إذن هى عائد الانتظار أو عائد رأس المال .

و نحن نرى أن الأساس المشار إليه أساس ضعيف لا يصمد للنقد لأن الادخار (وهو تعبير آخر للانتظار أو للتضحية بالحاجات الحاضرة) لا يتم فى جميع الحالات بدافع التضحية بالحاجات الحاضرة إذ قد تصل حاجات الشخص جميعاً إلى درجة الاشباع فيفيض عن حاجاته مال كثير و هنا لا يوجد انتظار أو حرمان فعلام يتقاضى مثل هذا الشخص فائدة مادام أنه لا يعانى حرمانا من عدم إشباع حاجاته الحاضرة و لا يكابد انتظاراً لاشباع حاجاته المستقبلة ؟

و قد قال أحد الكتاب الاقتصاديين ما يأتى : « لا يمكن اعتبار كل فائدة مجرد ثمن الانتظار والتضحية بالاستهلاك الحال وتأجيله لمستقبل معلوم، إذا أقرض شخص مليوناً من الجنيهات بسعر ٥ : لمدة سنة وحصل على فائدة مقدارها ٥٠٠٠٠ جنيه فى نهاية السنة ، فهل يمكن أن يقال أن هذا المبلغ تعويض عن تأجيله استهلاك ما كان يمكن أن يستهلكه لو أراد أن يستبدل بالادخار والاقراض الاقبال على الانفاق وهل يعتبر

هذا المبلغ تعويضاً عن الحرمان من أنفاق مليون جنيه ، و تأجيل هذا الانفاق ليحل بعد سنة ؟ وهل يستطيع عاقل أن ينفق مليوناً من الجنيهات على سلع استهلاك فى سنة من السنين ؟

إنه إن استطاع ما استحق أن يملك هذا المبلغ وإن ملكه فلا يعتبر حرمانه من استهلاكه حقاً فى أن يحصل على ٥٠٠٠٠ جنيه فى السنة » .

و لذلك حرم الله تعالى الفائدة وسماها ربا ، فقال فى سورة (البقر) « يمحق الله الربا و يربى الصدقات » و قال تعالى فى سورة (النساء) : « و أخذهم الربا و قد نهوا عنه » و قال تعالى فى سورة (الروم) : « و ما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله » و قال تعالى فى سورة (البقرة) : « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا اضعافا مضاعفة» و يستند مؤمنين « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون » كما قال الله تعالى فى نفس السورة : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا و أحل الله البيع وحرم الربا » وقال الله تعالى فى سورة (آل عمران) : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربا » إن تحريم الربا فى القرآن يشير إلى أساس أقتصادى سليم ، ذلك لما سبق أن بينا أن رأس المال : إما رأس مال حر أو نقود ، و إما رأس مال حقيق أى سلع و بضائع .

و إذا أمعنا النظر نجد أن عنصرى الانتاج كما سبق أن بيناهما العمل و رأس المال ، و يقصد برأس المال فى عملية الانتاج رأس المال

الحقيقى أو العينى ، أما النقود فلا تساهم بطريق مباشر فى عملية الانتاج ، و الدليل على ذلك أن الانسان كان ينتج قبل اختراع النقود ، و يؤكد ذلك أننا تصورنا أن موارد الطبيعة قد غاضت جميعها فان عملية الانتاج تصبح من ضروب المحال رغم وجود النقود لدى الانسان .

و نخلص من ذلك أنه لا يوجد أساس اقتصادى لتبرير مشروعية الفائدة .

و إذ تفتقد الفائدة أساس مشروعيتها لذلك تعتبر محرمة سواء كانت ناتجة من قرض إنتاجى أو قرض استهلاكى ، و يقصد بالقرض الاستهلاكى النقود التى يقترضها الشخص للانفاق على الانتاج أى للاستثمار

و قد يقال : كيف تسير أمور المجتمع إذا حرمت الفائدة مع أنها أصبحت من الدعائم الأساسية للنظام الاقتصادى وخصوصاً نظام البنوك، و الرد على ذلك هين يسير : فان تحريم الفائدة لم يمنع قيام مؤسسة النقد العربى السعودى ، و هى البنك المركزى للمملكة العربية السعودية ، و يمكن للبنوك أن تتقاضى عمولة على الخدمة التى تؤديها للعميل باقراضه دون تقاضى فائدة، لأن العمولة أمر مشروع إذ هى مقابل خدمة ، أى مقابل عمل، ولا ضير عليها من ذلك مادام حقها أى رأس مالها الذى اقرضته اقرضته مضموناً ، إذ الرهن مشروع بقوله تعالى فى سورة (البقرة) : « فرهان مقبوضة »

و على العكس من ذلك فاننا نرى أن الفائدة قد أضربت بالمجتمع لأن الفائدة عنصر من عناصر نفقة الانتاج، ولذلك يجب أن يعلو معدل الربح على سعر الفائدة حتى يكون المشروع الانتاجى ناجحاً. ولو افترضنا

مجتمعاً تتم فيه القروض دون فائدة لربحت كثيرة من المشروعات التى لا تستطيع الخروج إلى حيز الوجود ، لأقيمت آلاف المشروعات و المصانع و غيرها مما يحول دونه الآن نظام الفائدة أو الربا .

الفرع الثالث

الربح : و يتبين مما تقدم أن الربح له أساس علمى ، فهو أمر مشروع و قد أقره الله تعالى فى سورة (البقرة) : «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » فنسبة الربح إلى التجارة يفيد مشروعيتها ، و لو أن ذلك ورد فى مجال التشبيه ، إلا أن المشبه به وهو التجارة الرابحة أمر حقيقى ، أقر الله تعالى على نحو ما بينا عند الكلام على التداول أو التجارة ، و لم لا يكون الربح أمراً مشروعا و هو عائد استخدام رأس المال الحقيقى فى عملية الانتاج على عكس الفائدة التى تعتبر ثمن اقراض رأس المال النقدى ؟ و ترجع مشروعية الربح من الناحية الاقتصادية إلى أن استخدام رأس المال فى عملية الانتاج ينطوى على مخاطرة ، فالمشروع كما يتعرض للربح قد يتعرض للخسارة ، بعكس الفائدة التى تعتبر حقاً ثابتاً مضموناً لصاحبها ولو منى المقترض بخسارة المشروع الذى قام به .

الفرع الرابع

الايجار : سبق أن مر بنا أن الأيجار هو ثمن استعمال رأس المال الحقيقى أو العينى المملوك للغير ، و إذ أقر الله تعالى مشروعية الأجر فى اجارة الأشخاص فقد أقر كذلك مشروعية الايجار فى اجارة الأشياء لأن الايجار مقابل منفعة حقيقية يحصل عليها المستأجر .

في رحاب العارفين

و هو عالم جليل الشأن ، عظيم المنزلة رفيع المكانة ، لم يدانه فى غزارة مادته و توسع آفاقه ، ونفاذ بصره إلا قليل من العلماء ، وله فى المجال العلمى خدمات ضخمة ، و مآثر جليلة لا تنسى عـلى مضى الأيام و انقضاء الزمان .

أنظر ص ٧٠

— ساعة مع الشيخ الربانى رشيد أحمد . .

ساعة مع الشيخ الربانى رشيد احمد الكنكوهى

سعـيد الأعظمى الندوى

إنها لفرصة سعيدة إذ أتحدث عن الشيخ الربانى رشيد أحمد الكنكوهى ، ذلك الشيخ الجليل الذى أخلد مآثره تاريخ الهند الدينى ، و احتفظ بمفاخره الشعب الاسلامى جيلا بعد جيل ، و أقام حوله ذكريات من العلم و العمل ، و الخدمة و الجهاد ، ذلك العالم المجاهد الذى انتصر للدين ، و جاهد فى سبيله حينما كان الجو مكفهراً ، و كان النطق بالحق تغريراً بالنفس و المال ، ذلك البطل المغامر الذى خاض لجة الأخطار فصادف ما يكفى لتثبيط النفس ، و انحلال العزيمة ، والاعتراف بالضعف و الذل ، و لكنه قام فى وجه كل مصيبة سداً ، و قاوم كل خطر ومحنة بنفس مطمئنة ، وعزم أكيد ، وإيمان راسخ ، فأصلح الأوضاع والنفوس فى جانب ، وحارب النزعات الفاسدة والحكومة المحتلة فى جانب آخر .

ليست حياة الشيخ رشيد أحمد حياة عالم كبير ، أو حياة شيخ جليل فحسب ، و إنما هى قبل كل شئ حياة جندى فى ساحة الحرب ، يحارب عدوه وفاءاً للحق ، مدافعاً عن دينه و وطنه ، مناضلا لاستعادة المجد و الكرامـة الذين قضى عليهما العدو المحتل ، فاسترق الأحرار الأبرار ،

و تربص بهم الدوائر ، ليسهل له استغلال أرضهم و استعباد نفوسهم ، و العبث بحريتهم و السخرية من مصابهم .

و هو عالم جليل الشأن ، عظيم المنزلة ، رفيع المكانة لم يدانه فى غزارة مادته و توسع آفاقه ، و نفاذ بصره إلا قليل من العلماء ، و له فى المجال العلمى خدمات ضخمة ، و مآثر جليلة لا تنسى على مضى الأيام و انقضاء الزمان .

ولد الشيخ رشيد أحمد سنة ١٢٤٤ هـ قبل وقعة بالاكوت المشهور فى تاريخ الجهاد الاسلامى بالهند بسنتين ، فى قرية « گنگوه » التى تبتعد ١٦ ميلا عن سهارنفور ، و هى قرية عرفت منذ قديم بموطن العارفين الكبار ومولد العظام من رجال التاريخ ، ويتصل نسبه بسيدنا أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، وقد توفى والده وهوصغير لم يتجاوز السابعة من عمره ، فتولى تربيته و تعليمه جده الشيخ پير بخش ، و أمه المؤمنة بذلت جهوداً مخلصة فى تربيتـــه و دراسته الدينية حتى نشأ ولداً نجيباً ، مرهف الشعور ، ذكى الفؤاد ، نافذ البصيرة ، ولما أتم دراسته الابتدائية حنت نفسه إلى تعلم العلوم الدينية فدرس كتب النحو و الصرف عـــلى الشيخ محمد بخش الرامفورى فى رام فور .

و عندما بلغ السابعة عشرة من عمره توجه إلى دهلى حيث اشتغل بطلب العلم على أساتذة العلم مثل الشيخ مملوك على ، وقيض الله له زميلا مخلصاً و أخا وفياً ليكون له عوناً و رفيقاً يستوحى كل واحد من الآخر روحا و نشاطاً فى سيرهما العلمى ، و هو الشيخ محمد قاسم النانوتوى الذى تحدثنا عنه فى المقال السابق ، و قد عرف هذان الزميلان فى الأوساط

العلمية بدهلى بذكائهما و مؤهلاتهما و كفاءاتهما العلمية ، و أصبحا مضرب المثل لدى العلماء و الطلاب .

أما الحديث الشريف فقد قرأه على الشيخ المحدث عبد الغنى ، حفيد الشيخ ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى ، فضرب بسهم وافر فى هـــذا الفن و تعمق نظره فيه ، و توسعت معلوماته حتى أصبح من كبار علمـاء الحديث و عرف بالانهماك فيه ، و النزول إلى أعماقـه ، و الخوض فى معانيه والتف حوله طلبة العلم ليأخذوا منه هذا العلم ، وكل من سنحت له فرصة الاستفادة من علمـــه ، و حضر دروسه التى كان يلقيها ، عد ذلك مفخرة كبيرة و رأها سعادة لا تعادلها سعادة .

و لما أتم الشيخ رشيد أحمد دراسة العلوم الظاهرة ، أقبل عـــلى اكتساب ما يصلح الباطن و يعمل فى القلب ، فينوره و يزكيه ، ويجعله يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى و يتصل به اتصالا مباشراً لا يعوقه شئ من أمور الدنيا ، و لا يحول بينه وبين الله نوع من الملابسات والعلائق ، دارت هذه الفكرة فى رأس الشيخ رشيد أحمد فأقلقته ، و عكرت عليه صفو الحياة ، فقـام يبحث عن شيخ يشفى غليله ، و يأخذ بيده فى هذه الحيرة ، و بينما هو كذلك إذ هداه الله إلى الشيخ الـكبير إمداد الله المهاجر المكى ، فبث إليه شوقه ، وسأله المبايعة على الايمان و الحق ، و الانتصار لدين الله ، و لـكن الشيخ إمداد الله أبى أول الأمر لما رأه يتبوء منصباً أعلى فى الدين و العلم ، ثم أجاب طلبه بعد ما ألح عليه الشيخ رشيد أحمد ، و شفع له الشيخ ضامن على .

و تم أمر البيعة فبدأ الشيخ ينظم حياته للاشتغال بذكر الله ، و

الاقبال عليه بقلب تملوه الخشية ، و نفس يعلوها التواضع و الخضوع أمام الله ، و ما هى إلا أيام عديدة إذ تغيرت حاله ، وتدرج إلى منزلة عليا فى الاحسان و الاتصال بالله ، و استمر فى تزكية النفس نحواً من أربعين يوما باشراف الشيخ إمداد الله ، حتى آن له أن يغادر زاوية الشيخ إلى وطنه ، و يحرز شهاد الاجازة بما قال له الشيخ « إذا سألك أحد المبايعة فلاترده »

و رجع الشيخ رشيد أحمد يحمل فى جنبه نعمة الورع و التقوى ، التى لا تتيسر إلا بعد جهود مضنية ، و مجاهدات طويلة ، و لكن الله تعالى أنعم عليه فوفقه إلى اكتساب هذه النعمة فى مدة قليلة لاتزيد على شهر ونصف ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

و بدأ الشيخ رشيد أحمد يقضى جل وقته فى الذكر و المراقبة ، و العبادة والتلاوة ، فغشى جو القرية نوع من الخشوع و الانابة ، و خفت صوت المنكر شيئاً فشيئاً ، و تضاءلت نزعة السوء ، و اتجه الناس إلى إصلاح أحوالهم ، فراجعوه و طلبوا منه الاسعاف فى أمرهم ، و ألقى الله فى روعه أن يقبل طلبهم ، ويقبل على إصلاح الأحوال والأوضاع فسينتج ذلك خيراً كثيراً ، و ينفتح على يده باب العز و السعادة و الأمن و السلام .

و جلس الشيخ طبيباً يداوى المرضى ليسد به ضرورات المعاش و مطالب الحياة ، و كان لطبه تأثير كبير ، واتخذ أسلوباً سهلا فى العلاج إذ كان يصف للمرض دواء رخيصاً ، ربما يوجد فى بعض ضواحى القرى بدون أن يكلف المريض نفقة ، وسرعان ما يعود المريض صحيحاً معافى .

هذا ، و قد بذل جهوداً فى حقل الاصلاح الاجتماعى ، و كافح قوى الشر و الطغيان ، و أضاء للناس سبيل الحق و الهداية ، فاهتدى به عدد كبير إلى الطريق المستقيم ، و عرفوا معنى الحياة و غاية العيش فى الدنيا ، و علموا أن النجاح معقود بعمل الانسان ، فاذا ما كان العمل صالحاً ، و النية مخلصة كان النجاح موكداً ، و الانسان هو نفسه مسؤل عن العقاب و الثواب ، و هو الذى يختار لنفسه الطريق ، فاما إلى الجنة أو إلى النار .

و هكذا استطاع الشيخ رشيد أحمد أن يهدم البناء الفاسد و يشيد صرح العدالة والحق عالياً ، اينما رأى المنكر ثار عليه ، وقاومه بما أوتى من قوة ، عملا بما قال الرسول عليه الصلاة و السلام « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، و ذلك أضعف الايمان » و أسهم فى ثورة ١٨٥٧ م إسهاما لا يستهان بقيمته ، و حارب ضد الانجليز انتصاراً للحق ، و إنقاذاً للشعب الهندى و المسلمين خاصة من جحيم العبودية ، و عذاب الرق .

و عندما هدأت عاصفة الثورة ، وأخفق أهل البلاد فى القضاء على الحكم الانجليزى ، أصدرت حكومة الانجليز تعليمات حول إلقاء القبض على الثائرين وعلى كل من تزعم الثورة لتقضى عليهم بالرصاص أو الشنق أو النفى ، أو الحبس ، و لما أن الشيخ رشيد أحمد و الشيخ الحاج إمداد الله و الشيخ محمد قاسم كلهم تزعموا حركة الجهاد و الثورة على الانجليز غضبت عليهم الحكومة و بثت رجال الشرطة للبحث عنهم و أسرهم .

و أعلنت الحكومة جائزة كبيرة لمن دل على هولاء ، و ساعد

الحكومة فى إلقاء القبض عليهم ، و أخيراً نجح الشرطة فى أسر الشيخ رشيد أحمد ، وزجه فى السجن ، وقد رأت فيه الحكومة البريطانية أكبر عدو لها فحاكمته محاكمة شديدة ، وذات مرة قال له الحاكم فى المحكمة ، أنت تعيث فى البلاد فساداً و تصحب المفسدين ، فأجابه الشيخ : لست مفسداً و لا أصحب المفسدين كما تزعم ، ثم قال : عندك السلاح تستعمله ضد الحكومة ، فأراه الشيخ سبحته و قال هذا هو سلاحى .

و مازال الشيخ يعانى شدة الحبس ، و إرهاق الحكومة ، و ينتقل من سجن إلى سجن ، و فتشت الحكومة عن أمره و لكنها لم تنجح فى إثبات دعواها ، و تبرير موقفها من الشيخ ، فاضطرت إلى الافراج عنه ، و خرج الشيخ رشيد أحمد من يد العدو مبجلا مكرماً ، استقبله الناس أحر الاستقبال ، ورأوا فيه رجلا كبيراً ، وقائداً عظيما ، يستطيع أن يقود المسلمين ، و يرشدهم إلى ما فيه خير و صلاح .

و أتخذ الشيخ فى السجن أسوة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام فاهتدى به عدد كبير من المسجونين ، وتابوا وأنابوا إلى الله ، وأخلصوا دينهم وإيمانهم لله ، وتزاحم عليه الناس منذ خروجه من السجن يسألونه إصلاح الأحوال ، و المبايعة على الايمان و الاستماتة فى سبيل الله ، و لما رأى اقبال الناس عليه قام باصلاح عام شامل عن طريق الدعوة و التعليم .

و كانت مدرسة ديوبند أوسع مجال اختاره الشيخ لعمله و جهاده فبدأ يدرس فيها علوم الدين من القرآن و السنة ، و يعد الرجال لقلب الأوضاع الفاسدة ، و تغيير الأحوال السيئة التى كان المسلمون يجتازونها

فى ذلك العهد ، فنشأت بفضل الشيخ جماعة كبيرة ممن جمعوا بين العلم و الدين ، و دافع الجهاد و إصلاح الأوضاع ، و أصبحت مدرسة ديوبند بمثابة ثكنة يتخرج منها العلماء و المجاهدون و العارفون و المصلحون .

و رفع الله الشيخ رشيد أحمد إلى مكانة عليا من العلم و الدين ، و الاخلاص ، و رزقه من القبول و الحظوة ما لم يرزق كثيراً من كبار العلماء و العارفين ، و قد منحه من التأثير و البركة ما يتعذر نظيره فى عصره و ما بعده ، و لذلك فقد كان الرجل يحضره فارغا عن كل شئ و يرجع بايمان قوى ، و إخلاص و دين ، و اعترف بفضله و علو منزلته شيخه الكبير الحاج إمداد الله ، يروى أنه بعث إليه رجلا ممن بايعه ، و قد مر عنده بمراحل الرياضة ، والمجاهدات ، و لكنه لم ينل بغيته على ذلك ، فكتب إليه الشيخ إمداد الله : إن هذا الرجل ممن بايعنى و أقام عندى مدة يشتغل فيها بالرياضة و المجاهدات ، غير أنه لم ينتفع بشئ منها ، و لم أطلع على موضع الضعف فيه ، فأبعثه إليكم عسى أن ينتفع بكم ، و جاء الرجل فسأله الشيخ عن مهنته ، فقال إن لى شغفاً بدراسة الكتب الدينية ، و هنالك عرف الشيخ ما ينبغى أن يأمره به ، فقال له : أمسك عن دراسة الكتب وخذ نصيبك من الذكر والمراقبة ، و فعل الرجل فسرعان ما تغيرت حاله ، و وصل إلى مرامه .

ويقول الشيخ إمداد الله اعترافا منه بعلو مكانة الشيخ رشيد أحمد : « أقول للذين يحبوننى إن الشيخ رشيد أحمد و الشيخ محمد قاسم يفوقانى فى العلوم الظاهرة و الباطنة فليعدوهما أفضل منى ، فقد كان ينبغى أن يكونا فى مكانى من الهداية و الارشاد ، إذن يجب أن يغتنم الناس

وجودهما فان أمثالهما مفقودون فى هذا العهد »

و يقول فى مناسبة أخرى :

لو سألنى الله تعالى عن عملى فى الدنيا لحضرته بالشيخ رشيد أحمد و الشيخ محمد قاسم »

و قال مرة : « لا حاجة للناس ان يأتونى فكفى لهم الشيخ رشيد أحمد مرشداً »

وجاء رجل إلى الشيخ فضل رحمن الكنج مراد آبادى وشكا إليه ما أصاب شقيقه من مصيبة من قبل الحكومة ، فقد كانت الحكومة فرضت عليه إعطاء ثلاث مأة ألف روبية كغرم مالى ، و عندما سأل الرجل الشيخ فضل رحمن أن يدعو لشقيقه حتى يتخلص من هذه الورطة قال له الشيخ : اتصل بالشيخ رشيد أحمد و اسأله الدعاء لأخيك ، فان خلاصه يتوقف على دعائه ، أما إذا دعوت أنا و جميع أولياء الله على وجه الأرض فلا ينفعه ذلك بمثل ما ينفع دعاء الشيخ رشيد أحمد ، و هو من عباد الله المقربين و ممن استجاب الله دعاءهم ، و حضر الرجل الشيخ رشيد أحمد و سأله الدعاء فاستجاب الله دعاءه و تخلص أخوه المصاب .

وقال الشيخ فضل رحمن بمناسبة أخرى : «تسألون عن الشيخ رشيد أحمد و ما أدراكم ما هو ؟ يزخر فيه بحر من العلوم و المعارف »

و استمر الشيخ رشيد أحمد فى نشر دعوته و رسالته ، من طريق التدريس و التعليم حيناً ، و التربية و الاصلاح حيناً آخر ، وقد استخدم مواهبه وكفاءاته التى رزقها الله تعالى إياه فى خدمة دين الله ، وإصلاح

الناس ، و اعترف كبار العلماء بفضله العلمى و تفوقه فى مجال الكفاح العملى ، و إخلاصه و إتصاله بالله سبحانه و تعالى ، و ذلك هو الذى رفع شأنه و أعلى مكانته و بلغ به إلى قمة العلم و المعرفة .

سافر الشيخ إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج ثلاث مرات غير أن الرحلة الأخيرة التى قام بها إنما كانت هجرة ، و استوحى من الحرمين روحا دافقة و عاطفة جياشة ، و أشتد اتصاله بشخصية النبى الكريم عليه الصلاة ، و تمكن حبه فى قلبه ، فدرج على منهجه الذى خطه عليه الصلاة والسلام ، واقتفى أثره طول حياته ، وركز جهوده وعنايته فى نشر تعاليم الرسول عليه الصلاة و السلام ، فكان له شغف زائد بالحديث النبوى و دراسته ، و نشره و لذلك استمر إلى آخر حياته فى تدريس كتب الصحاح بدار العلوم ديوبند ، و تخرج عليه عدد كبير من العلماء الراسخين و رجال الحديث ممن عرفوا بنبوغهم فى هذا الفن لدى الأوساط العلمية فى الهند و خارجها .

و فى آخر حياته هاجر إلى الحجاز ، و درس الحديث الشريف فى الحرم النبوى مدة من الزمان ، و قد توفاه الله فى السادس من شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٥ هـ بعد ما عاش ستين سنة ، و دفن فى البقيع بجوار سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

في رياض الأدب وزهر الشعر

و لقد زخر الأدب العربي بنماذجه القوية الخالدة فى كتابات أدباء هذا العصر الزاهر أمثال عبد الحميد و ابن المقفع والجاحظ وغيرهم من أمثال أصحاب الطابع العلمى أيضاً .

أنظر ص ٨١

— اتجاهان أدبيان

— رسالة فى ليلة التنفيذ

اتجاهان ادبيان

الأستاذ محمد الرابع الندوى

اتجان أدبيان : و نجد أصحاب النصوص و الأساليب الأدبية ينقسمون إلى اتجاهين أدبيين كبيرين فى تاريخ منتجاتهم الأدبية هما اتجاه المعانى و اتجاه الألفاظ .

أدب الألفاظ : أما أصحاب الألفاظ فيعتنون فى انتاجهم الأدبى بروعة الألفاظ و جمال العبارة و تأثيرها أكثر مما يعتنون بابتكار المعانى و اختيارها ، و الناس أيضاً فى عصورهم يستحبون مثل هذا الأدب و يتذوقونه و يتأثرون به ، وأكبر قسم أدبى يروج فى تلك العصور هو قسم الشعر ، فانما يكثر مقداره و يعظم تأثيره على النفوس و القلوب ، أما النثر فيكون بسيطاً ناشئاً لم يدخل فى المرحلة الفنية بعد ، و لا يكون مقبولا منه إلا ما يشابه الأدب الشعرى فى جمال الايقاع وقوة النبرات الصوتية مثل الخطابة و الاسجاع و العبارات المؤثرة الأداء ، و أدوار هذا النوع من الأدب فى تاريخ الأدب العربى هى العصور الجاهلية و صدر الاسلام فقد كان الشعر فى هذه الأزمنة زاخرة بصور فنية خلابة و بنماذج قوية مؤثرة من البيان الساحر، و قيل « إن من البيان لسحراً » و كان العرب فى هذه العصور أشد من يتأثرون بالأدب القوى الرائع خاصة بالشعر منه ويقدرون له تقديراً عجيباً وكان حكمه على نفوسهم نافذاً

وكانوا يجلون الشاعر و الخطيب كل إجلال و يحسبون لهما حساباً كبيراً

و لقد نرى لهذا النوع من الأدب كل تأثير و رواج فى كل أمة كانت فى المرحلة الأولية من أدبها مثلا سواء كانت فى الشرق أم فى الغرب، فقد كانت آداب أوربا فى قرونها الوسطى أى عصورها الابتدائية على مثل هذا الطراز و كانت تملك مثل هذا التأثير فى قليل أو كثير .

و يوجد الاعتناء الزائد بظاهر العبـــارة فى عهود تخلف الأمم و انحطاطها أيضاً ، لكن الأدب فى مثل هذه العصور يكون صناعياً مزخرفا بموها و مزيناً بمؤثرات بلاغية مصنوعة ، و يكون أدباً يحيى فيه الظاهر و يلمع ، و يموت فيه الروح و يضمحل الباطن، و توجد أمثلته كثيرة فى عهود الانحطاط و التخلف لكل أمة ذات لغة و آداب ، أما فى العربية ومهوده من نحو سقوط بغداد إلى بداية العصر الحديث .

أدب المعانى : أما أصحاب المعانى فاولئك هم الأدباء الذين يبذلون جهدهم فى تجويد المعانى و ترقيتها و ابتكارها و اختيار محدثاتها ، ويكون ذلك عامة فى عهود المدنية والحضارة استجابة لمقتضيات الحياة فى العصر الحضارى ، و تنوع الحاجات الثقافية و شيوع العلوم والمعارف وظهور النواحى الأدبية الكثيرة و مثال ذلك ما نجده فى شعر المتنبى و أبى تمام أحياناً .

النثر الفنى : و يتسع نطاق النثر الفنى فى هذه العهود فيقوى و يروج ، و تزدهر فيها أصناف الكلام المنثور ، لانها تكون أصلح مجال للجهود الأدبية التى تعم فى عصور الحضارة و الرقى المدنى ، أما فى العربية فنجد هذا الأدب بدأ يظهر منذ بزوغ شمس الاسلام وقوى، وبلغ أوجه

فى الشطر الأول من العصر العباسى .

و لقد زخر الأدب العربى بنماذجه القوية الخالدة فى كتابات أدباء هذا العصر الزاهر أمثال عبد الحميد و ابن المقفع والجاحظ وغيرهم من أمثال أصحاب الطابع العلمى أيضاً .

الشعر : أما الشعر فى هذا العصر فيخضع هو الآخر أيضاً للمؤثرات الحضارية و مطالبها فيقوى فيه الاعتناء بالمعانى و ترقيتها و ابتكارهـا و اختيار محدثاتهـا و اخضاع الشعر للميول الفنية و العلمية السائدة الجديدة، فعندما تغلب على النفوس الفنية و الوجدانيـــة يميل الشعراء إلى اختراع المعانى الجديدة ، و إحداث صور فنية قشيبة والنزول إلى رغبات العامة و أهوائهم ، فحينئذ تضعف من الأدب الحشمة و الرزانة، و مثاله مانراه فى شعر بشار بن برد و أبى العتاهية و أبى نواس و ابن هانىء الأندلسى و من شاكلهم من الشعراء فى العصور العباسية و الأندلسية الزاهرة .

و عندما تغلب على النفوس المسحة العلمية الفكرية يميل الشعراء إلى وصف أشكال ذهنية وتقييد صور فكرية وبيان نكت عقلية لطيفة بروح علمية جافة، فيضعفون بطبيعة الحال إذن عن العناية بجزالة العبارة وجمال التعبير وسلاسة الألفاظ ، و إنهم كلمـا يقع فى أديهم هذا الخلل يسدونه بمؤثرات اضافية من البلاغة و البديع و مثال ذلك ما نجده فى شعر أبى تمام و المتنبى أحياناً، و إلى ذلك يشير ما قاله المتنبى واصفاً نفسه و أبا تمام « أنا و أبو تمام حكيمان و الشاعر البحترى » و البحترى و إن كان تلميذاً لأبى تمام لكنه استطاع تجنيب نفسه من التفريط فى الجانب الأدبى من شعره .

رسالة فى ليلة التنفيذ

الأستاذ هاشم الرفاعى

(هاشم الرفاعى : أحد سجناء الاخوان المسلمين فى سجون عبد الناصر فى المحنة الأولى ، و قد أحس هذا الشاعر أن مصيره الموت فرثى نفسه إلى أبيه خلال هذه الرسالة الشعرية المؤثرة ، و لئن خرج الشاعر من السجن و نال الجائزة الأولى فى مهرجان الشعر بهذه القصيدة الفذة فقد مات غيلة فى أحد نوادى مصر الرياضية !)

(وبعد استشهاده رثاه أحد شعراء الدعوة الاسلامية بقصيدة على وزن هذه القصيدة و قافيتها ستنشر فى العدد القادم (باذن الله) .

● ● ●

أبتاه ، ماذا قد يخط بنانى ... و الحبل والجلاد منتظران
هذا الكتاب إليك من زنزانة ... مقرورة صخرية الجدران
لم تبق إلا ليلة أحيابها ... وأحس أن ظلامها أكفانى
ستمر يا أبتاه لست أشك فى ... هذا ، و تحمل بعدها جثمانى

● ● ●

الليل من حولى هدوء قاتل ... والذكريات تمور فى وجدانى
و يهدنى ألمى ، فأنشد راحتى ... فى بضع آيات من القرآن

و النفس بين جوانحى شفافة ... دب الخشوع بها فهزكيانى
قدعشت أؤمن بالاله ولم أذق ... إلا أخيراً لذة الايمان

● ● ●

شكراً لهم ، أنا لاأريد طعامهم ... فليرفعوه ، فلست بالجوعان
هذا الطعام المر ما صنعته لى ... أمى ، و لاوضعوه فوق خوان
كلا ، و لم يشهده يا أبتى معى ... أخوان لى جاءاه يستبقان
مدوا إلى به يداً مصبوغة ... بدمى ، و هذى غاية الاحسان
و الصمت يقطعه رنين سلاسل ... عبثت بهن أصابع السجان
ما بين آونة تمر .. و أختها ... يرنو إلى بمقلتى شيطان
من كوة بالباب يرقب صيده ... و يعود فى أمن إلى الدوران
أنا لا أحس بأى حقد نحوه ... ماذا جنى ؟ فنمسه أضغانى
هو طيب الأخلاق مثلك يا أبى ... لم يبد فى ظمأ إلى العدوان
لكنه إن نام عنى لحظة ... ذاق العيال مرارة الحرمان

● ● ●

فلربما و هو المروع سخنة ... لو كان مثلى شاعراً لرثانى
أو عاد من يدرى ؟ إلى أولاده ... يوما و ذكر صورتى لبكانى
و على الجدار الصلب نافذة بها ... معنى الحياة غليظة القضبان
قد طالما شارفتها متأملا ... فى الثائرين على الأسى اليقظان
فأرى وجوما كالضباب مصوراً ... ما فى قلوب الناس من غليان
نفس الشعور لدى الجميع وإن هم ... كتموا ، وكان الموت فى إعلانى

● ● ●

وبدور همس فى الجوانح ماالذى ... بالثورة الحمقاء قد أغرانى ؟
أولم يكن خيراً لنفسى أن أرى ... مثل الجموع أسير فى إذعانى ؟
ما ضرنى لو قد سكت ، وكلما ... غلب الأسى بالغت فى الكتمان
هذا دمى سيسيل، يجرى مطفئاً ... ما ثار فى جنبى من نيران
و فؤادى الموار فى نبضاته ... سيكف فى غده عن الخفقان
و الظلم باق ، لن يحطم قيده ... موتى ، و لن يؤدى به قربان
ويسير ركب البغى ليس يضيره ... شاة إذا اجتثت من القطعان

● ● ●

هذا حديث النفس حين تشف عن ... بشريتى . . و تمور بعد ثوان
و تقول لى : إن الحياة لغاية ... أسمى من التصفيق للطغيان
أنفاسك الحرى وإن هى أخمدت ... ستظل تغمر أفقهم بدخان
وقروح جسمك وهو تحت سياطهم ... قسمات صبح يتقيه الجانى
دمع السجين هناك فى أغلاله ... و دم الشهيد هنا سيلتقيان
حتى إذا ما أفعمت بهما الربى ... لم يبق غير تمرد الفيضان

● ● ●

ومن العواصف مايكون هبوبها ... بعد الهدوء و راحة الربان
إن احتدام النار فى جوف الثرى ... أمر يثير حفيظة البركان
و تتابع القطرات ينزل بعده ... سيل يليه تدفق الطوفان
فيموج . . يقتلع الطغاة مزمجراً ... أقوى من الجبروت والسلطان

● ● ●

أنا لست أدرى، هل ستذكر قصتى ... أم سوف يعروها دجى النسيان

أو أننى سأكون فى تاريخنا ... متآمراً أم هادم الأوثان ؟
كل الذى أدريه أن تجرعى ... كأس المذلة ليس فى إمكانى
لو لم أكن فى ثورتى متطلباً ... غير الضياء لأمتى لكفانى
أهوى الحياة كريمة لاقيد ، لا ... إرهاب ، لاستخفاف بالانسان
فاذا سقطت سقطت أحمل عزتى ... يغلى دم الأحرار فى شريانى

● ● ●

أبتاه إن طلع الصباح على الدنى ... وأضاء نور الشمس كل مكان
واستقبل العصفور بين غصونه ... يوما جديداً مشرق الألوان
و سمعت أنغام التفاؤل ثرة ... تجرى على فم بائع الألبان
و أتى - يدق كما تعود - بابنا ... سيدق باب السجن جلادان !
و أكون بعد هنيهة متأرجحاً ... فى الحبل مشدوداً إلى العيدان

● ● ●

ليكن عزاؤك أن هذا الحبل ما ... صنعته فى هذى الربوع يدان
نسجوه فى بلد يشع حضارة ... و تضاء منه مشاعل العرفان
أو هكذا زعموا ، وجئ به إلى ... بلدى الجريح على يد الأعوان
أنا لا أريدك أن تعيش محطما ... فى رحمة الآلام و الأشجان

● ● ●

إن ابنك المصفود فى أغلاله ... قد سيق نحو الموت غير مدان
فاذكر حكايات بأيام الصبا ... قد قلتها لى عن هوى الأوطان
وإذا سمعت نشيج أمى فى الدجى ... تبكى شباباً ضاع فى الريعان
و تكتم الحسرات فى أعماقها ... ألا تواريه عن الجيران

فاطلب إليها الصفح عنى، إننى لا أبتغى منها سوى الغفران

• • •

مازال فى سمعى رنين حديثها و مقالها فى رحمـــة و حنان
أبنى إنى قد غدوت عليـــلة لم يبق لى جلد على الأحزان
فأذق فؤادى فرحة بالبحث عن بنت الحلال ودعك من عصيان
كانت لهـا أمنيـة . . ريانة يا حسن آمال لهـا و أمان !
غزلت خيوط السعد مخضلا ولم يكن انتقاض الغزل فى الحسبان
والآن لا أدرى بأى جوانح ستبيت بعدى أم بأى جنـان

• • •

هذا الذى سطرته لك يا أبى بعض الذى يجرى بفكر عانـ
لكن إذا انتصر الضياء وفرقت بيد الجموع شريعة القرصان
فلسوف يذكرنى و يكبر همتى من كان فى بلدى حليف هوان
و إلى لقاء تحت ظـــل عدالة قدسية الأحكام و الميزان

• • •

العالم الإسلامى

. . فأوهمهم أنه الغـــازى المنتظر الذى سيمسح عار الهزائم السابقة ، و إنه الفاتح البطل الذى سيحقق لهم معـــجزة تحريرها ، ثم لم يروا من ذلك الغازى المزعوم طيلة ثلاثة عشر عاما إلا خزى الهزيمة و عار الفرار ، ومساومات الخفاء فى ظـــلام الكواليس . أنظر ص ٨٩

ـــ القصة الكاملة « للبطولة الناصرية » ضد

القصة الكاملة

للبطولة الناصرية ضد الاخوان

الحســـاب

المصير الذى أصبح يتوقعه الحاكمون فى مصر ويخشونه ، ويرتجفون من صورته ، هو سقوطهم واحداً بعد الآخر تحت أقدام الجماهير الساخطة الثائرة الغاضبة المنتقمة لما لقيته من طغيان و ظلم ، وما حل بها من بؤس وفقر على يد هؤلاء الحكام، أيقن حكام مصر أن سحب التضليل و الأكاذيب قد انقشعت عن أعين المصريين ، و إن ساعة الحساب قد دقت ، و إن يوم الانتقام غير بعيد و إن أسبابه قد كثرت و تعددت .

فقد كان جمال عبد الناصر يوهم عامة الناس أنه رجل الأقدار و محقق المعجزات ، و يمنيهم بانتصارات بطولية خيالية فاذا به يفر من هزيمة ليقع فى هزيمة ، ويسترفشله وخيبة أمله فى ناحية بفشل وافلاس . فى ناحية أخرى .

أوهم الناس زمناً أنه نبى الوحدة ، و بطل القومية العربية ، فاذا بهم يرونه يقتلع بيده جذور الوحدة ، و يحطم دعائمها ، و ينفر الشعوب منها ، و يطرق أبواب هؤلاء الحكام واحداً بعد الآخر و يذل نفسه على أعتابهم يستجدى عفوهم و يلتمس منهم أن يقبلوه فى جماعتهم ، و أن يتركوا له فرصة العيش فيهم كواحد منهم ، و إن يستروا عوراته

و لا يفضحوا جرائمه التى يرتكبها فى حق شعب مصر الطيب المسالم .

لقد زعم يوما أنه لن يقنع بما ورثه عن الحكام السابقين من مركز دولى ممتاز تمتعت به مصر قبل أن ترزأ به، لأنه يطمع أن يتربع على عرش العباد ، و إن يتولى زعامة العالم المتحرر ، و تكون له بذلك كلمة فى مصير العالم فاذا به لا يتكلم إلا بثمن و لا يسكت إلا بثمن ، موافقة مرهونة بالقمح أو الدولار من الغرب ، أو القروض والمساعدات من الشرق ، أما المبادىء و العهود ، فهى للخطب و الصحافة و تضليل الجماهير ، و إذا به يعرض خدماته للكراء فى سوق العملاء و الوسطاء ، و لا يكتفى بأن يرهن مصير وطنه ، و يبيع كرامة مواطنيه و حريتهم و حقوقهم بل يتعدى ذلك للمساومة على استقلال الشعوب الشقيقة أو الصديقة ، و على استقرارها و مصالحها و وحدة أراضيها ، و قدانكشف موقفه مع الانفصاليين الذين يهددون وحدة العراق الشقيق و سكوته عن الانفصاليين فى السودان .

و فلسطين . . قرة عين العرب و المسلمين . . فلسطين العزيزة الشهيدة التى نبتت « بطولاته » الزائفة فى أوحال نكبتها عام ١٩٤٨ ، و ارتوت عبقريته المزعومة بمياه هزائمها ، و ترعرع اسلامه فى السيطرة و مطامعه فى السلطة فى ظل مصائبها ، لم يتورع بعد ذلك عن المساومة على مستقبلها و مصيرها ، فى الوقت الذى استغل فيه تعلق العرب و المصريين بها ، فأوهمهم أنه الغازى المنتظر الذى سيمسح عار الهزائم السابقة ، و إنه الفاتح البطل الذى سيحقق لهم معجزة تحريرها ، ثم لم يروا من ذلك الغازى المزعوم طيلة ثلاثة عشر عاما إلا خزى الهزيمة وعار

الفرار، ومساومات الخفاء فى ظلام الكواليس - ثم راوه يسلم ما بقى بيده من أرضها إلى بوليس دولى ، و يفتح لاسرائيل خليج العقبة تسير فيه سفنها وتجارتها ، ويترك ثغور سيناء وجزرها للبوليس الدولى لكى يحرس التجارة و يؤمنها ويحميها - ثم يطلع على الناس بعد ذلك الزمن الطويل من التدجيل و التضليل ليقول لهم فى خطبته العصماء ؟ أن شعب فلسطين يجب ألا يفكر فى تحرير بلاده إلا بعد أن يترك له الوقت الكافى ليتمم « الوحدة الاشتراكية العربية » و يبنى الصناعات الثقيلة التى يستطيع أن يحارب بها أمريكا، و يوجد الزراعة الحديثة الكثيفة التى تغنيه عن العبودية التى تربطه بقمحها و معونتها . . . ولم يقل لنا جمال عبد الناصر ماذا سيفعل هو و أصدقاؤه لأبناء فلسطين الذين لا يبصرون ، و لا ينتظرون و الذين يريدون تحرير بلادهم قبل أن تتحقق وحدته الاشتراكية . . . ؟

هل يرى أن يصدهم بالمساومات حول « القمم » الملفوفة بسحب الظلام و المقابلات المحاطة بالسرية و الكتمان و أسعار الخيانات فى بورصة الكرملين و الدولار ؟

كان عبد الناصر يفعل ذلك كله ، و هو يظن أن الشعب لا يعرف تلك الأمور و لا يدرك خباياها و خفاياها ، و يظن أنه قد خدر الشعب بافيون دعايته المستربة ، و شغلهم بالتلفزيون و الراديو والصحافة المأجورة الزائفة ، و إنه سوف ينسى المصريين همومهم و مصائبهم ، باغراقهم باسباب اللهو الرخيص و العبث الماجن ، ويعوضهم عن آمالهم الضائعة و مصالحهم المضيعة بالطعام الوفير من قمح أمريكا وكتاكيتها و

لبنها و عسلها ، و يرفع مستوى المعيشة إلى حد الترف، فاذا به ينتهى بهم إلى البؤس الأسود الذى لم تر له مصر مثيلا منذ عهد المماليك .

التحدى

لم يندهش عبد الناصر إذن عندما قالت له مخابراته إن الشعب المصرى لم يعد يكتفى بالبغض الذى كان يخفيه فى أعماق قلبه، ولا بالسخط الذى يلفه فى النكتة و يتعزى عنه بالتلفزيون و الراديو ، بل إن هذا الشعب المسالم الهادىء قد أصبح يتحداه و يتحدى عصابته .

قالت المخابرات إن التعدى لم يعد خافياً و لا مستوراً ، بل أصبح عاما و علنا ظهر على وجوه العامة ، و برقت به عيون الناس فنطقت ألسنتهم و هتفت به حناجرهم ثم لوجت به أيديهم .

قالوا له ! لقد جاء الوقت الذى تجرأ فيه الفلاحون و الصيادون و العمال و الطلاب على رجالك و مماليكك ، الذين سلطتهم على الناس فعاثوا فى الأرض فساداً ، و كانوا أعوانك على الطغيان و الاستبداد و الفساد و عملائك فى أجهزة القمع و التضليل - مطمئنين إلى أن الناس لا يجرؤون على تحديهم ولا مقاومتهم - ولكنهم صدموا عندما تجرأت عليهم العامة و تداهم أبناء الشعب فعصوهم و تمردوا على أوامرهم ثم قاوموهم وأهانوهم و سبوهم و شتموا رؤساءهم و كبراءهم و سادتهم ، ثم وصل بهم الأمر إلى أن اعتدوا على بعضهم بالأيدى والعصى والحجارة، و لما وجدوا الطريق إلى السلاح تسابقوا عليه و قاوموا به جنودك و عبيدك ، و قتلوا من وصلت إليه أيديهم من رجالك و عملائك ، ومثلوا بهم و شوهوا جثتهم ، و ملأوا فمهم بالتراب و الطين و شقوا صدورهم

بالفئوس ، و دقوا أضلاعهم بالأحجار و الأخشاب ، وداسوا أجسادهم و رؤوسهم تحت الأقدام ؟ قالوا له أيضاً « إن آلافا لا تحصى من أبناء الشعب تركوا أعمالهم و مصالحهم ، و تسابقوا لتشييع جنازة الرجل الذى مات فى عزلة فرضتها عليه ، كما فرضتها على الهضيبى ونجيب وغيرهم من رجالات مصر و قادتهـا ، تسابق المصريون لتشييع جنازة مصطفى النحاس ، حباً فيه رغم بغضك له ، و حقدك عليه و خوفك من اسمه و حتى جثته »

قالوا له : إن المصريين كانوا يتزاحمون على النعش يتعلقون به و ويتبركون بلمسه ، و أنهم هتفوا له تحديا لك و لحكمك و عصابتك ، و إن دموعهم سالت على وجوههم أسى لفراق الرجل و اعتذاراً له عن تقصيرهم فى حقه ، و سكوتهم عمن اعتقلوه وسجنوه و أبعدوه و نفوه ، و فرقوا بينهم و بينه تلك السنين الطويلة . وأن بعض الباكين المشيعين توسل إلى الزعيم الراحل ان يحمل إلى ربه شكوى أمته لما حل بها من ظلم و بغى و طغيان ، و أن يدعوه لينزل لعنته و سخطه على الطغاة والظالمين ، و إن هـذا المنظر أثار مماليكك و عملائك فأمروا الجنود بالهجوم على المشيعين بالعصى و الدباشك ، ثم انتزعوا النعش من أيديهم و هربوا به كما يفعل لصوص المقابر .

قالوا له أيضاً : « لقد وقعت ذلك اليوم حادثة ذات مغزى ، إذ هجم عشرات من المشيعين على رجل واحاطوا به و أشبعوه ضرباً ولكماً ، حتى شوهوا وجهه وملابسه ثم نزلوا على رأسه بأحذيتهم ، لأنه متبوع الماحث . أى من العبيد الذين باعوا أنفسهم لجواسيسك و عاونوهم على

البطش بالآمنين و البغى على المواطنين الصادقين ، و إن أحد الناس ضربه بالفعل على أنفه و قال له (بلغ سادتك بأن جثتهم لن تحمل على الأكتاف ، بل ستداس يوما بالأقدام و النعال) ماذا تفعل عصابات المخابرات والمباحث إزاء هذه التحديات من جانب الشعب الأعزل الذى أفقروه وأذلوه ، و كذبوا عليه زمناً طويلا و ضللوه ، وشوهوا تاريخه و بددوا تراثه ؟

التشخيص

لجأت أجهزة القمع و التجسس و التضليل إلى أسلوبها التقليدى فى الانتقام «الاعتقالات تتبعها التفتيشات و مايليها من تعذيب وتخريب ، و ما يخترع لتبريرها من اتهامات و مؤامرات .

استندوا إلى التحقيقات التى أجريت مع زميلهم الخائن (زغلول) الذى أرسلوه ليشترى الذمم و الضمائر فى لبنان ، فباع ضميره و ذمته لمخابرات المنافسين والخصوم ، ثم عاد ليزعم لهم أنه « جاء من سامبنياء يقين » عن مؤامرات تحاك فى أوساط اليمين ، أى (الوفديين) و من يسمونهم الرأسماليين و الاقطاعيين ، فأعجبهم هـذا الابتكار الذى يوسع نطاق عملهم ناحية اليمين سنين طويلة فى مطاردة الاخوان المسلمين دون غيرهم من المواطنين ، وأيد بعضهم ذلك بقوله « إن جنازة النحاس لم تكن تلقائية ، و إنما كان ورائها تنظيم ، لابد من البحث عنه ، وتحطيمه لأن كل تنظيم هو مؤامرة لا يستطيعون السكوت عنها .

ثم إن السيد الرئيس قد عاد من جدة يحمـل أكاليل النصر ، و يبشرهم بأن الجيش سيعود من اليمن إلى أرض الوطن ، و هم يرتجفون

لتلك العودة و يخشونها ، فان تحدى الفلاحين والصيادين قد يهون أمره و يسهل القضاء عليه ، أما تحدى الجيش فان أموره شائكة صعبة تنذر بخطر جسيم ، فمن الأفضل تصفية جبهة المدنيين بمؤامرة طنانة رنانة ، و قمع و سجن و قتل و تعذيب يتحدث بأنبائه القاصى و الدانى ، ويبالغ فى أوصافه الأصدقاء و الأعداء على السواء ، حتى يتعظ رجال الجيش العائدون من ميدان الشرف و يقنعوا بما حققوه من انتصارات فى اليمن و ما حصلوا عليه من تعويضات و مكافآت ، ولايتدخلوا فيما ليس لهم به شأن فى شؤن الدولة و مصير الأمة ، و يقول كل واحد منهم لزميله « أنج سعد ، فقد هلك سعيد »

أسرفت المباحث و المخابرات فى التفتيشات و الاعتقالات و قاموا « بتمشيط » أحياء القاهرة و ضواحيها بقصد التحريف و الترغيب ، و إشغال الناس عن هموم العيش بالنهار بهموم الخوف و الرعب من المباحث فى الليل، و كانت الاعتقالات تقع على من يبدو عليهم علامات الامتعاض من التفتيش أو يتلكاؤن فى فتح بيوتهم ، أو يخاطبون الجنود و المماليك بجراءة وشجاعة ، و من تكون فى بيوتهم كتب الأخوان المسلمين أو التلاميذ الذين يكتبون على كراساتهم « بسم الله الرحمن الرحيم » أو من يسمى صديقه فى رسائله « أخى فى الله » و انتهت تقارير المباحث إلى أنها حصلت على نتائج « خطيرة » لا لكثرة الأسلحة التى عثروا عليها ، لأنهم لم يضبطوا أسلحة تذكر ، و لا لكثرة المنازل التى فتشت، والأبواب التى حطمت والاثاثات التى اتلفت و مزقت ، فذلك كله عندهم متعة يتلذذون بها كما كان يفعل التتار الذين يتلهون بعمليات التخريب

والتحطيم ، و إنما الخطير فى الأمر على حسب تقاريرهم أن الناس كلهم قد أصبحوا ساخطين على الحكم القائم ، ناقمين على أساليبه و تدابيره حانقين على ما وصلوا إليه من شدة فى العيش و قلة فى التموين وحرمان من الحرية ، و إن هذا السخط و النقمة أصبحا أمراً علنيا عاديا لا يعنى الناس باخفائه كما كانوا يفعلون من قبل ، و لا يخشون عواقبه ، فلابد من ضربة قوية تعيدهم إلى الحذر فى الكلام و التستر فى النقد، وإلى الرضى بالجوع والصبر على البؤس خوفا من السجن و التعذيب .

و قالت تقارير المباحث أيضاً أن الوفديين قد نشطوا منذ وفاة النحاس حتى إنهم « ضبطوا » لدى أحد الناس قصيدة فى رثاء النحاس بعثها إليه صديق له ! ؟ قال فيها بالحرف الواحد « إن مصر ضاعت بعده و أصبحت يتيمة ! و إن آخر بعث برسالة إلى عدد من أصدقائه يدعوهم إلى اكتتاب لصنع تمثال للنحاس يوضع « فى يوم من الأيام » فى أهم ميادين القاهرة بعد أن تتحرر من الطغيان ! !

و قالت تقارير المباحث : إن عدد الشيوعيين « غير المتعاونين » قد ازداد وكثر، و إن هولاء الشيوعيين «الصفر» لم ييأسوا بعد من انزواء زملائهم «الحمر» بترك التعاون مع « دكتاتورية » عبد الناصر و حكومته و نظامه ، بدليل الرسائل التى ضبطت مبعوثة من بعض المسجونين الشيوعيين إلى زملائهم الذين يتبوأون أعلى المناصب يعاتبونهم فيها على انحرافاتهم وخياناتهم .

و قالت التقارير : إن الاخوان لم يموتوا و لن يموتوا ، لأنه ينضم إليهم كل يوم جيل من الشباب وصغار التلاميذ، بل والفتيات والسيدات .

و إن هذا الدم الجديد فيه جرأة على التحدى و قدرة فائقة على التنظيم ، حتى إن هذا الجيل من الصغار والفتيان هو الذى يتولى عمليات الانفاق على عائلات المسجونين و المعتقلين و تمويلها وفقاً لأنظمة محكمة، و خطورة هذا الجيل أنه لا يعرف الخوف لأنه لم يشهد المحن والعذاب فى الأزمات السابقة فى عهد فاروق وابراهيم عبد الهادى ، ولا فى عهدكم السعيد ، و يا حبذا لو انتهزنا أول فرصة لاعطائهم درساً فى هذا النوع .

وقالت التقارير : إن هذا كله دليل على أن الموسم حافل بالمؤامرات العديدة سواء من جانب الوفديين أو الشيوعيين بل و الأخوان المسلمين، و الأفضل أن نسبقهم نحن فنكشف تلك المؤامرات و نفضحها و نستغلها قبل أن توجد ، لأن الوقاية خير من العلاج ونقتلع البذور قبل ان تنبت و تظهر ، ونفتح القلوب بالحديد و النار لنخرج منها ما تخفيه من أحقاد إلى حيز العمل و التدبير و التآمر و التنفيذ .

العلاج

اجتمعت تقارير المخابرات و المباحث على أن نظام الحكم فى حاجة إلى حقنة مؤقتة من المنبهات المصطنعة ، و إن المنبه اللازم فى هذه الحالة هو إما انتصار يظهر فى الخارج يحيى آمال الشعب ، و يضعف حجج خصوم النظام القائم و ناقديه ، أما فى حالة عدم تحقق هذا الانتصار فلابد من ضربة قوية رادعة وعملية تحويف طنانة رنانة، تدور حول محاكمة مثيرة، ومؤامرة خطيرة ،تشغل الرأى العام مدة طويلة وتثير شيئاً من انتباه الجماهير و عطفها على النظام .

هذه الضربة القوية تظهر الحاكمين بأنهم ما زالوا أقوى مما يظن

الناس و أيقظ مما يعتقد الخصوم ، و أنه مازالت فيهم القدرة على إنزال ضربات قوية بخصومهم و ذلك لمواجهة « الخلخلة » أو الشك فى قوة النظام « المستنتجة من فشل حملة اليمن العسكرية ، وتغطية انسحاب الجيش من هناك .

على هذا اجمعت تقارير أجهزة المخابرات و أقسام المباحث المختلفة، ثم اختلفوا فيما بعد ذلك إلى من توجه الضربة، وكيف تهيأ له الأسباب و المبررات ، و كيف تحاك لها مسرحية علنية تستغل فى الدعاية للنظام أطول مدة ممكنة ، و كيف يوفق بينها و بين الظروف السياسية الدولية حتى يمكن استثمارها للحصول على أكبر فائدة .

سياسة خارجية ؟

و اختلفوا - تبعاً لذلك - فيمن يكون له شرف القيام باعداد المسرحية و طبخها ، و إخراجها من بين أجهزة الدولة المختلفة و أجهزة المخابرات والمباحث المتعددة ، ذلك أن النظام (نظام المباحث والمخابرات فى هذه الدولة تسوده الروح الاقطاعية ، فكل جهاز من أجهزتها مستقل عن الأجهزة الأخرى ، بل منافس لها فى مذهبه و قيادته، و بين هذه الأجهزة والأقسام منافسة مسمومة و غيرة قاتلة .

فالهيئة المكلفة بالتجسس على الاخوان ترى أن قيمتها فى الدولة تزداد كلما زاد عدد المعتقلين والمسجونين من الاخوان ، و هم لذلك يتحسرون على أيام عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ حينما كان أسراهم يبلغون الالوف ، و كانت أجهزة الدولة كلها تحت تصرفهم تسمع لهم وتطيع وكانت الأموال و هن أشارتهم و تحت أيديهم بلا رقيب و لا حسيب فلما نقص عدد

المسجونين من الاخوان ، تضاءلت قيمتهم و هددت مراكزهم ، و هم يحسدون القسم المختص بالتجسس على الشيوعيين من أتباع بكين ، على ما ينال من أهمية منذ ظهرت الصين فى الميدان ، ووجدت سلالة جديدة من الصينيين المتمردين ، و يحسدونهم على الأهمية التى يعطيها السيد الرئيس لتقارير هذا القسم قبل كل ملاقاة مع زعماء الكرملين الذين تعددت زيارتهم للبلاد بمناسبة و بغير مناسبة ، و وصل به الأمر إلى أن جند فى خدمته جميع الشيوعيين الذين هم فى السجون ، و وضعهم تحت حمايته ، و زاحمه فى الاشراف على شؤنهم بعد ذلك أنه يتمنى أن تعطى له أشارة الضوء الأخضر لحبك قضية شيوعية صينية جديدة ـ صفراء فاقع لونها ـ يحصل بها على مائة سجين جديد ، أو خمسين على الأقل ، حتى يبقى له عمل و قيمة فى « داخل النظام » ، وإلا جفت أوراقه و ذبل عوده و لم يبق مبرر لوجوده .

تحليل

يصف الناس هنا حكام مصر بأنهم دولة المماليك الجديدة لأنهم لايختلفون فى خصائصهم وأساليبهم عن حكام دولة المماليك التى سبقتهم فى السيطرة على شعب مصر وإذلاله واستغلاله فى عصور الظلام السابقة.

فالذى يتحكم فى المصريين ليس طاغية فرداً ، ولادكتاتوراً واحداً بل ابتلينا بطائفة ، أو طوائف جديدة من المماليك الجدد ـ يسيطرون على الشعب و هم منعزلون و منفصلون عنه ـ لا يتصورون أن يكون لأى فرد مصرى الحق فى أن يقول «لا» و لا له الحق فى أن يقول « لماذا » ، و من يتجرأ على ذلك فهو « عدو للنظام » ، وكل عدو لنظامهم

فهو متآمر عليه حتما يجب « القضاء عليه »

و فى بعض الأحيان يتم القضاء على أعداء الحكام أى خصوصهم غيلة و غدراً ، و يكون هذا فى الغالب إذا كان هذا التمرد من ضباط الجيش الذين كثر تجرؤهم على النقد و تهورهم فى الكلام منذ حرب اليمن، فكل هفوة من هذا القبيل (لا أو لماذا) تجعل من الضابط الذى يقولها عدواً متآمراً ، و يجب تصفيته .

و قيل إن حرب اليمن سهلت كثيراً عملية تصفية هذا النوع من الضباط ، لأنه بعد اغتيالهم تسلم جثتهم إلى ذويهم مع الجثث الواردة من ميدان القتال، و يقال لهم إنهم استشهدوا فى ميدان الشرف ، أما المدنيون فاذا ماتوا بسبب التعذيب تدفن جثثهم فى رمال الصحراء و يبلغ أهلهم بأنهم هربوا من السجن ، هذا إذا كانوا قد علموا باعتقالهم، وفى غير هذه الحالات ، المحاكمات المصرية والقتل العلنى زيادة فى تخويف الناس وإرهابهم، فالسر فى انعزال حكام مصر عن شعبها أنهم يعتقدون عن يقين راسخ أن حكم مصر و التصرف فى شؤنها هو من شأنهم وحدهم لا شريك لهم، لا يقبلون من غيرهم مناقشتهم و لا محاسبتهم فيه، و بهذه الفكرة و هذا السلوك حفروا قوة لا يمكن اختيارها بينهم و بين الشعب ، و أصبحوا طبقة أو طائفة معزولة عن الشعب منفصلة عنه كما كان شأن أسلافهم المماليك من قبل .

و حكام مصر كأسلافهم المماليك السابقين ينتظمون فى هرم يقوم على مبدأين زيادة اتساع القاعدة بقدر المستطاع، و زيادة ضغط الأعلى على الأسفل، حتى لا يتزحزح من مكانه ، و قاعدتهم تتكون من صغار

العبيد العملاء الذين ينفذون أعمال الفتك بالأبرياء والتجسس على المواطنين و يندمجون فى أجهزة القمع والبطش والتجسس و المخابرات و المباحث، وهم ليسوا رجالا يعرفون بالأسماء، بل هم أنفار وأعداد بحسب الأرقام وكلما زاد انخفاض القاعدة و ولوعها فى طين الأرض زاد ثبات الهرم - وكلما زاد ضغط ظاهر الشكل الهرمى على باطنه وقاعدته زاد متانة و استقراراً - فالأصل إذن أن تعتمد قاعدة الحكم المملوكى على أحقر الطبقات و أدناء العبيد و المماليك .

من دأب هذا النوع من البشر أن ينظروا إلى الناس نظرة عبودية إما من أعلى ، و إما من أسفل ، فلا يعرفون إلا من كان أعلى منهم أو أسفل ، فيواجهون الأدنى بظاهر خدشهم من الظلم و البغى و التجبر و الطغيان، فأما الأعلى فيديرون له باطن خلقهم و جوهره من الذلة و العبودية و الطاعة و الاستسلام .

و قد اشتهر عن المماليك فى فن الحرب أنهم برعوا فى الكر والفر فلم يكونوا يستطيعون الصمود فى موقع ، و لا التحصن بقلعة ، ولا الدفاع عن مدينة ، و لو كان فيها نساؤهم و أطفالهم، و إنما يكسبون معاركهم بمفاجأة خصومهم بالكر و الفر ، يكرون عندما يهئ لهم القدر سبل الغنيمة و الغلبة و السلب، و يفرون للنجاة و الهرب .

للحديث بقية نقدمها فى العدد القادم — باذن الله —

(اقتطفنا هذا الحديث من تقرير اتحاد الطلبة المسلمين فى أوربا)

الرائد

صحيفة ، عربية ، نصف شهرية

— يشرف على الادارة والتحرير —

الاستاذ محمد الرابع الندوى

سعيد الاعظمى الندوى

— يحررها —

اللجنة الصحفية للنادى العربى

اشتراكاتها

فى الهند و باكستان ٥ روبيات

و فى الخارج جنيه واحد

العنوان

دارالعلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)